مقرر التفسير بالسنة الأولى
بدار التوحيد بمعاهد المعلمين الابتدائية بالمدارس المتوسطة



# التفسير الميسر

خلاصات مقتبسة من أشهر التفاسير المعتبرة

الجزء الأول


ألفه
عبد الله خياط



منشورات
مكتبة النجاح
جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

محمد وعلى آله وصحبه

أما بعد

فهذه هي الحلقة الأولى من كتاب ( التفسير الميسر ) نسقتها حسب منهج وزارة المعارف للسنة الأولى بدار التوحيد ، ومعاهد المعلمين الإبتدائية ، والمدارس المتوسطة ، وتبتدىء من أول سورة المزمل ، وتنتهي بنهاية سورة الناس .

اعتمدت في وضعها على التفاسير المشتهرة المعتبرة ، التي تعنى بتقرير مذهب السلف ، رضوان الله عليهم .

أسأل الله تعالى

أن ينفع بها ، ويعينني على إتمام بقية السلسلة

إنه أكرم مسؤول

وصلى الله على خير خلقه ، محمد وآله وصحبه .

**عبد الله خياط**

# تفسير سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) » .

( المزمل ) المتلفف بثيابه والمتغطي بها وأصله المتزمل – وقد أمر الله رسوله أن يترك التغطي والتلفف والنوم ليقوم جزءاً من الليل لعبادة ربه وبيّن له سبحانه القدر الذي يقومه من الليل وخيّره بين قيام نصف الليل أو النقص من النصف إلى الثلث أو الزيادة على النصف إلى الثلثين . فكان النبي صلى الله وسلم وأصحابه يقومون على هذه المقادير وأمره بالتمهل في قراءته . قالت عائشة رضي الله عنها : كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها. ثم أخبر الله الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سوف ينزل عليه قولاً ثقيلاً وهو القرآن وقد ورد في معنى القول الثقيل أقوال للمفسرين منها أنه شديد ومنها أن العمل به ثقيل لما فيه من الأوامر والنواهي والحدود والفرائض والوعد والوعيد وبيان الحلال والحرام . ومنها أنه ثقيل في الميزان يوم القيامة . ومنها أنه ثقيل لما كان يلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من الشدة عند نزول الوحي عليه حتى أن جبينه ليتفصد

---

( المزمل ) المتلفف بثيابه . ( ورتل القرآن ترتيلاً ) اقرأه بتأن وتمهل .

عرقاً في اليوم الشديد البرد وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك : أوحى إليه وهو على ناقته فبركت به ، وأوحى إليه وفخذه على فخذ زيد ابن ثابت فكادت أن ترض فخذ زيد .. ثم عاد سبحانه يذكر قيام الليل فأخبر أن ناشئة الليل وهي ساعات القيام فيه أشد مواطأة أي موافقة بين القلب واللسان وأجمع لتلاوة القرآن ، وأما النهار فأخبر سبحانه أن فيه جرياً وراء المصالح وقضاء الحوائج وإقبالاً وإدباراً وفيه أيضاً فراغ طويل أي بعد قضاء الحوائج ، ثم أمر رسوله أن يذكره ويعظمه ويتفرغ لعبادته وينقطع إليه ، فالتبتل : الانقطاع لعبادة الله تعالى وتأميل الخير منه دون غيره وقيل : هو رفض الدنيا والتماس ما عند الله تعالى فهو سبحانه المالك المتصرف في المشارق والمغارب لا إله غيره ولا رب سواه وهو جدير بإفراده بالتوكل والاعتماد عليه في جميع الأمور قال تعالى :

« إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩) » .

---

( قولاً ثقيلاً ) شاقاً أو شديداً . ( ناشئة الليل ) ساعاته التي يقوم المرء فيها للعبادة . ( هي أشد وطئاً ) أكثر موافقة .. يوافق القلب فيها اللسان عند التلاوة . ( أقوم قيلا ) أصوب قراءة . ( سبحاً طويلا ) تصرفاً وتقلباً في حوائجك . ( تبتل إليه تبتيلاً ) انقطع إليه في عبادته .

ثم أخذ سبحانه يعزي رسوله ويسليه عن تكذيب قومه له ويأمره بهجرهم هجراً لا عتاب معه وهو الصفح الجميل بل يداريهم ويغضي عن زلاتهم ويتوعد سبحانه المستهزئين موجهاً الخطاب للرسول قائلاً : دعني وهؤلاء المكذبين المترفين أصحاب الأموال المنعمين سوف أكفيك أمرهم وأجازيهم .. فتمهل عليهم قليلاً .. فسوف يلقون جزاء ما عملوا . ثم بيّن سبحانه ما أعد لهم من ألوان العذاب في الآخرة فذكر الأنكال .. وهي القيود العظام يقيدون بها فلا تنفك أبداً . والنار المستعرة المضطرمة .. والطعام الذي يغص به الآكلون إذ ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج - قيل هو الزقوم - والعذاب المؤلم ينزل بهم ، كل ذلك يوم تهتز وتتزلزل الأرض والجبال وتتفتت الجبال فتصير ككثبان الرمل المهيل - والمهيل هو الرخو - الذي تهيله الريح أي تنثره . هكذا تصير الجبال في الآخرة بعد أن كانت حجارة صماء ، قال تعالى :

« وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (١٠) وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً (١٢) وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً (١٤) » .

---

( هجراً جميلا ) حسناً لا عتاب فيه . ( أولي النعمة ) أصحاب التنعم . ( ومهلهم قليلا ) انتظر بهم . ( أنكالاً ) قيوداً . ( ذا غصة ) ينشب في الحلق . ( ترجف الأرض ) تتزلزل . ( كثيباً مهيلا ) رملاً رخواً ينهال .

ثم وجه الخطاب بعد ذلك إلى كفار قريش والمراد به النـــاس عموماً على أعمالهم مثل ما أرسل إلى فرعون رسوله موسى وعندما عصى فرعون موسى انتقم الله منه انتقاماً ( وبيلا ) أي شديداً وغليظاً . وبعرض قصة فرعون وموسى يخوف كفار قريش ومن حذا حذوهم في تكذيب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لأنه إذا كان الانتقـــام ممن كذّب موسى شديداً فسوف يكون ممن كذب محمداً ، وهو أفضل من موسى ، أعظم وأشد . وذكر سبحانه بعـــد هذه القصة شيئاً من أهوال يوم القيامـــة يوجّه للناس عامـــة قائلا : كيف يحصل لكم الأمـــان إن كفرتم بالله من يوم يكون فيه الفزع العظيم فتشيب من أهواله وشدته وكثرة بلابله الولدان وتتشقق السماء بسببه ومن هوله ، والوعد به كائن لا محيد عنه وواقـــع لا شك فيه .

ثم أشار بعد ذلك إلى تلك الآيات المتقدمة وما فيها من ذكر يوم القيامـــة وأهواله وقال إنهـــا عظة يتعظ بها من شاء أن يسلك سبيلاً إلى الله بالإيمان به والتقوى والطاعة ممن شاء الله له الهداية .. قال تعالى :

« إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَـــلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً (١٧)

---

( أخذاً وبيلا ) أي شديداً .

السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨) إِن هَـٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (١٩) » .

وعاد سبحانه في الآيات التالية يذكر قيام الليل وقد كان مشروعاً في الابتداء كما مرّ في أول السورة وأخذ يخاطب الرسول بقوله : إنه يعلم القدر الذي كان يقومه صلى الله عليه وسلم من الليل ، كان يقوم أقل من ثلثيه وأكثر من النصف منه . ويقوم النصف والثلث هـذا تارة وذاك أخرى ، ويعلم أيضاً أن أصحاب الرسول كانوا يقومون من الليل نفس هذه المقادير غير أنه سبحانه لعلمه أنهم لا يستطيعون المواظبة على ذلك ؛ أولاً : لأنهم لن يستطيعوا ضبط الوقت ، فتارة يزيد الليل على النهار ويأخذ منه ، وبالعكس .. وتارة يعتدلان . ثانياً : لأنهم لن يستطيعوا إحصاء القـدر الواجب عليهم قيامه ، فإن زادوا عن الواجب ثقل عليهم وإن نقصوا منه شق عليهم فلعلمه سبحانه بذلك رفق عنهم الحرج ورخص في القيام من غير تحديد بوقت وجعل لهم الخيار في قيام ما شاءوا من الليل وفي أي وقت شاءوا كيفما تيسر لهم ، وعبّر سبحانه عن الصلاة بالقراءة في قوله تعالى : ( فاقرأوا ما تيسر من القرآن ) كما قال تعالى في سورة الإسراء : ( ولا تجهر بصلاتك ) ذكره ابن كثير .

---

( السماء منفطر به ) تتشقق السماء بسبب أهوال يوم القيامة . ( وعده مفعولاً ) واقعاً لا محالة . ( تذكرة ) تذكير موعظة .

ثم عاد سبحانه يذكر أن من أسباب الترخيص في قيام الليل أيضاً : علمه بأن في الأمة أصحاب أعذار كالمرضى والمسافرين لغرض التجارة وابتغاء المكاسب والمشتغلين بالجهاد في سبيل الله ، كل هؤلاء لا يستطيعون قيام الليل ، ولهذا كان التخفيف والتخيير في قيام ما تيسر من الليل كل بحسبه ، وكان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بفرض الصلوات الخمس على ما ذكره جمهرة من مفسري السلف.. بعد هذا أمر سبحانه بإقامة الصلوات المفروضة أي بأدائها على الوجه الأكمل المشروع وإعطاء الزكاة وهي حق المال المفروض ، والتصدق مع الزكاة وهو ما يعنيه بقوله ( وأقرضوا الله قرضاً حسناً ) فإنه جل شأنه يعطي على الصدقة أكرم عطاء وأجزله ولذلك رغب في عمل البر وأخبر أن كل ما يقدمه العبد من ذلك فهو خير مما يستبقيه لنفسه في الدنيا وأنه سوف يجد ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطى وأعظم أجراً مما أخر .. وأمر سبحانه في ختام السورة بالاستغفار من الذنوب ووعد بغفرانها فهو سبحانه كثير الغفران لمن تاب إليه ، قال تعالى :

« إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ ٱللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللهُ يُقَدِّرُ ٱللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ

---

( تقوم أدنى ) أقل . ( أن لن تحصوه ) لا تطيقون طول القيام .

مَرْضَى ، وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ ٱللهِ
وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً . وَمَا تُقَدِّمُوا
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ ، تَجِدُوهُ عِنْدَ ٱللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً ،
وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠) » .

---

( يضربون في الأرض ) يسافرون . ( أقرضوا الله قرضاً حسناً ) تصدقوا .

# تفسير سورة المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ».

( المدثر ) أصلها المتدثر ، والدثار ما يلتف به الإنسان من الثياب . روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم أر شيئاً فنظرت فوقي فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض – يعني الملك الذي ناداه – فرعبت ورجعت إلى خديجة وقلت دثريني ! فدثرته خديجة فجاءه جبريل وقرأ : ( يا أيها المدثر : قم فأنذر ) » والمعنى : يا أيها المتلفف بثيابه الذي تملكه الرعب من رؤية الملك ارم عنك دثارك وانهض لإنذار قومك والناس أجمعين من الشرك وعبادة غير الله التي يترتب عليها العذاب الأليم . ( وربك فكبر ) أي عظّم ربك بالتوحيد ونزهه عن الشرك والنقائص .

---

( المدثر ) المتلفف بثيابه . ( أنذر ) حذر . ( فكبر ) عظّم . ( فطهر ) نق نفسك من الذنوب أو ثيابك من القذر . ( الرجز ) الأصنام أو المعاصي عموماً .

( وثيابك فطهر ) قيل في تفسيرها جملة أقوال. قيل : إن الغرض من تطهير الثياب صونها عن النجاسات سواء كان بالتقصير لئلا تصل إلى الأرض أو بإزالة النجاسات منها بالغسل . وقيل : المراد بالتطهير ألا تكون مغصوبة بل تكون من كسب حلال . وقيل : المراد بالثياب الأعمال فهي تلابس المرء كما تلابسه الثياب ، والمراد بالتطهير إصلاحها وتخليصها من الشرك والمعاصي . وقيل : كان المشركون لا يتطهرون الطهارة الحسية فأمر الله رسوله أن يتطهر ويطهر ثيابه . قال ابن كثير : وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فإن العرب تطلق الثياب عليه .

( والرجز فاهجر ) الرجز الأصنام والأوثان وهجرها ترك عبادتها والتبرؤ منها وأهلها .

( ولا تمنن تستكثر ) قال ابن عباس : لا تعط العطية تلتمس أكثر منها . وقيل : لا تمنن بعملك على ربك تستكثر ، وقيل : لا تمنن بالنبوة والقرآن على الناس فتأخذ منهم أجراً تستكثر به .

( ولربك فاصبر ) قيل : اصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل المثوبة على ذلك . وقيل : اصبر على أذى قومك لوجه ربك .

بعد ذلك طمأنه سبحانه بأن قومه سوف يجدون جزاء هذا الإيذاء يوم ينقر في الناقور أي ينفخ في الصور ، ووصف ذلك اليوم بأنـه شديد وعسير وأكد ذلك بأنه غير هين وغير يسير .. قال تعالى :

« فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) » .

---

( نقر في الناقور ) نفخ في الصور .

وانتقلت الآيات بعد ذلك يقص الله فيها خبر الوليد بن المغيرة وما كان من تنكره للنعم التي أنعم الله بها عليه من المال والولد والبسطة في الرزق والجاه وما كان من قوله في القرآن إنه سحر وما أَعدّ له من عذاب الآخرة ، فتوعده الله أبلغ توعد بقوله : ( ذرني ) أي اتركني وفوضني فيه ، هذا الذي خلقته وأخرجته من بطن أمه لا مال له ولا ولد ثم جعلت له مالاً كثيراً وجعلت له أولاداً حضوراً لا يغيبون عنه .. لغناهم وعدم احتياجهم للتكسب بالضرب في الأرض .. فيحرم من التمتع برؤيتهم .. وبسطت له العيش بسطاً ومكنته من صنوف المال والأثاث وجعلت له المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش .. ثم يرجو أن أزيده مالاً وولداً وتمهيداً ؟ لا .. ! لن يكون ذلك .. ! ولن أجمع له بعد اليوم بين المال والمزيد من النعم فقد كان معانداً للقرآن كافراً به بعد معرفته وإيقانه أنه حق واعترافه أنه ليس من كلام الإنس ولا الجن . ثم قال ( سأرهقه صعوداً ) سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة فيها .. ورد في الحديث أن الصعود جبل من نار يصعد فيه الصاعد سبعين خريفاً ثم يهوي كذلك .. وهكذا .. إلى ما لا نهاية .. قال تعالى :

«ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ

---

( ذرني ) اتركني . ( مالاً ممدوداً ) كثيراً . ( بنين شهوداً ) أولاداً حاضرين لديه. ( مهدت له تمهيداً ) بسطت له في الرزق وطول العمر بسطاً .

أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٧) ».

ثم أخذ الله تعالى يعدد جرائمه التي هدده من أجلها وتوعده فذكر أنه فكر وتروى فيما يختلقه من المقال في القرآن . ثم أنكر عليه كأنه يتعجب من جرأته بالباطل على الحق فقال ( قتل كيف قدر ) أي لعن كما تقول : قاتله الله .. ثم كررها للتأكيد ووصف منظره وهو على هذه الحالة فقال : إنه أعاد النظر والتروي .. ثم قطب وقبض ما بين عينيه .. وكلّح وجهه واشتد في ذلك ..! وبعد ذلك كله انصرف عن الحق وتعالى عليه حتى لا ينقاد للقرآن ثم قال : ما هذا إلا سحر يرويه محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم وليس هذا إلا قول بني الإنسان .. قال تعالى :

« إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) ».

---

( لآياتنا عنيداً ) معانداً . ( سأرهقه صعوداً ) سأكلفه مشقة من العذاب . ( فكر وقدر ) فكر فيما يختلقه ، تروى . ( فقتل كيف قدر ) أي لعن..وهو دعاء عليه وتعجب منه. (ثم نظر) أعاده النظر والتروي . ( عبس ) قبض ما بين عينيه . ( بسر ) زاد في العبوس كالمهتم في شيء. ( أدبر ) عن الإيمان . ( استكبر ) تكبر عن الانقياد . ( إلا سحر يؤثر ) سحر يروى عن السحرة .

ثم ذكر الله ما أعده له من العذاب في الآخرة فأخبره أنه سيدخله ( سقر ) وهي من أسماء جهنم وكرر ذكرها تهويلا لأمرها ، ثم فسر هذا التهويل ببيان ما تفعله بمن يلقى فيها فقال إنها تأكل اللحم والعروق والعصب والجلود فلا تبقي من ذلك شيئاً إلا أهلكته ثم يعود كما كان بعد أن يبدله الله بغيره وهم فيها مقيمون للعذاب لا يموتون ولا يحيون .. وأخبر سبحانه أيضاً أن جهنم ( لوّاحة للبشر ) أي تغير لون البشرة حتى تدعها أشد سواداً من الليل ، وأن عليها تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها . قال تعالى :

« سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) » .

ثم أخبر سبحانه أنه جعل خزنة النار ملائكة غلاظاً شداداً لا يقاوَمُون ولا يغالَبون وذلك رد على قريش حين ذكر الخزنة فقال أبو جهل : يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم مقاومة واحد منهم فتغلبونهم ؟ وأخبر سبحانه أنه ما ذكر عدد الخزنة إلا اختباراً للكفار وإضلالاً لهم حتى قالوا ما قالوه ، وليعلم ويتأكد أهل الكتابين — التوراة والإنجيل — أن ما أخبر به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من عدد خزنة النار حق لأنه موافق لما في كتبهم وليزداد من آمن من أهل الكتاب تصديقاً بالنبي صلى الله عليه وسلم إذا وجدوا ما قاله

---

( سأصليه سقر ) سأدخله جهنم . ( لواحة للبشر ) مغيرة للجلد حتى تجعله أسود .

موافقاً لما في كتبهم ولئلا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في عدد الخزنة وليقول الذين في قلوبهم شك ونفاق والمشركون أيضاً : أي شيء أراد الله بهذا العدد القليل المستغرب استغراب المثل ؟ ثم أخبر سبحانه أنه كما أضل هؤلاء المشركين والمنافقين والمتشككين في عدد خزنة جهنم يضل أيضاً من يشاء من الخلق بعدله ويهدي من يشاء منهم بحكمته وأخبر سبحانه أنه لا يحيط أحد بعدد ملائكة العذاب وكثرتهم غيره سبحانه وذلك لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر محصورون في هذا العدد فقط ، فتسعة عشر هم خزنة النار ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلا الله ، وعاد سبحانه يرجع القول إلى ذكر سقر فقال : وما هي — فيما أراد الله من ذكرها — إلا تذكرة وموعظة للناس . قال تعالى :

« وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ، وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ، كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) » .

---

( وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ) المراد بأصحاب النار خزنتها . ( لا يرتاب ) لا يشك . ( في قلوبهم مرض ) شك ونفاق .

ثم أقسم سبحانه بالقمر لعظم منافعه ، ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته . أما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم بغير الله . وأقسم سبحانه بالليل حين يدبر ويولي وبالصبح حين يشرق . أقسم بذلك كله أن جهنم حقاً لإحدى البلايا والدواهي الكبر وهي نذير للناس . قال الحسن : والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها . وبيّن سبحانه أن هذا الإنذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر ، لمن شاء أن يتقدم في الخير والطاعة أو يتأخر بالشر والمعصية فكل نفس مرتهنة مأخوذة بعملها يوم القيامة . قال تعالى :

«كَلاَّ وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ (٣٥) نَذِيراً لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) » .

ثم استثنى من هذا العموم أصحاب اليمين فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم ولكن يغفرها الله لهم ، وأصحاب اليمين قيل هم أصحاب السعادة المسلمون فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما فك الراهن رهنه بأداء الحق . وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم ، وقيل هم أطفال المسلمين لأنه لا أعمال لهم يرتهنون بها وقيل غير ذلك . وقد أنزل الله أصحاب اليمين في غرفات الجنات فأخذوا يتساءلون عن حال المجرمين وعن السبب في دخولهم النار فأجابهم المجرمون بقولهم : إنهم لم يكونوا يصلّون مع

---

( أدبر ) ولى وذهب . ( أسفر ) أضاء وتبين . ( إنها لإحدى الكبر ) النار إحدى العظائم.
( رهينة ) مرتهنة بعملها .

المصلين ، ولم يكونوا يطعمون المساكين مما أعطاهم الله ، بـــل كانوا يشتركون في الباطل مع المبطلين ، وكانوا يكذبون بيوم الجزاء على الأعمال وهو يوم القيامة ، وأنهم ما برحوا على هذه الحـال حتى فاجأهم الموت قال تعالى :

« إِلَّا أَصْحَابَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّـــاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَـــا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَـــعَ ٱلْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّـــا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَـانَا ٱلْيَقِينُ (٤٧) » .

ثم أخبر سبحانه أن هؤلاء المتصفين بهذه الصفات لا تنفعهم شفاعة شافع . قال ابن مسعود رضي الله عنه : يشفع الملائكة والنبيون والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار إلا أربعة ثم تلا ( قالوا لم نك من المصلين ) إلى قوله : ( بيوم الدين ).

وعـــادت الآيات تنقد صنيـع الـكافرين في إعراضهم عن مواعـظ القرآن وما يدعو إليـه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشبههم سبحانـه في إعراضهم ونفورهم عن الحق كحمر الوحش حين تنفر ممن يريد صيدها من الأسود فقوله : ( قسورة ) معناه الأسد وقيل جماعة الرماة لا واحد لها

---

( ما سلككم ) ما أدخلكم . ( نخوض مع الخائضين ) نتكلم بالباطل فيما لا نعلم . ( بيوم الدين ) بيوم الجزاء . ( اليقين ) الموت .

من لفظها . وقيل الرجال الشداد وكل ضخم شديد عند العرب ( قسورة ) .

واستمرت الآيات في نقد تعنت كفار قريش بطلب كل واحد منهم أن ينزل الله عليه كتاباً منشوراً يأمره الله فيه باتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زجرهم الله عن هذا الطلب بقوله ( كلا ) أي أنهم لا يعطون ما طلبوا . ثم ذكر سبحانه أن الذي حملهم على هذا الطلب عدم إيمانهم بالآخرة وعذابها ، ولو خافوا العذاب لما اقترحوا هذه الآيات على صدق الرسول بعد قيام الأدلة على صدقه . قال تعالى :

« فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ (٥٣) » .

ثم أخبر سبحانه أن القرآن موعظة ، فمن شاء الانتفاع به والاتعاظ جعله نصب عينيه وانتفع به ، غير أنه لا يتذكر ويتعظ بالقرآن إلا من شاء الله له الهداية وهو سبحانه أهل لأن يُتقى أي تجتنب محارمه وأهل لأن يغفر ذنوب من اتقاه وأناب إليه . قال تعالى :

« كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ (٥٦) » .

---

( التذكرة ) مواعظ القرآن . ( حمر ) جمع حمار . ( مستنفرة ) نافرة . ( قسورة ) جماعة الرماة أو الأسد . ( أهل التقوى ) أحق أن يخاف منه . ( أهل المغفرة ) أهل أن يغفر لمن اتقاه .

# تفسير سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

«لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ (١) وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَىَ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ (٦)» .

قال ابن كثير رحمه الله قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه إذا كان منتفياً جاز الإتيان ( بلا ) قبل القسم لتأكيد النفي . والمقسم عليه هنا هو إثبات المعاد . وقد أقسم سبحانه بيوم القيامة وهو يوم المعاد والجزاء والحساب ، وأقسم أيضاً بالنفس اللوامة وهي النفس التي تندم على الشر لِمَ فعلته ، وعلى الخير لِمَ لَمْ تستكثر منه . ثم رد سبحانه على منكري البعث المستبعدين إعادة الأجساد رد عليهم بقوله : ( أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه ) أي بعد التفرق والبلى . قيل إن ذلك رد على

---

( لا أقسم ) أقسم و « لا » زائدة . ( النفس اللوامة ) كثيرة الندم على ما فات . ( نسوي بنانه ) أنامله ، أي نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير . ( يفجر أمامه ) يمضي قدماً في معاصي الله . ( أيان ) متى .

من سأل رسول الله قائلاً : أوَ يجمع الله العظام ؟ قال تعالى : ( بلى قـادرين على أن نسوي بنانه ) أي أنّ الله تعـالى قادر على إعادة العظام بالبعث بعد فنائهـا في التراب وعلى جمعها من أماكنها المتفرقة .. بل قدرته سبحانه فوق كل ذلك .. فهو قادر على أن يسوي بنانه .. أي أطراف أصابـع يديه ورجليه فيجعلها شيئاً واحداً كخف البعير وحافر الحمار فلا ينتفع بها في القبض والبسط وسائر الأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطـة وغيرها .

ثم أخبر سبحانه أن الإنسان لا يجهل أن ربه قادر على بعثه وجمع عظامه ولكنه يريد أن يمضي قدماً في معاصي الله ما عاش يقدّم الذنب ويؤخر التوبة .. قال ابن عباس : المراد بالإنسان الكافر المكذب بيوم الحساب يكذب بما أمامه من البعث والحساب ولهذا يسأل عنه في الآية الأخرى مستبعداً وقوعه فيقول ( أيان يوم القيامة ) متى يكون ؟ كأنه غير منغمس فيه ! ومن هنا وصف هذا العمل بالفجور .

بعد ذلك أخذ الله سبحانه يعدّد شيئاً من أهوال يوم القيامة . فذكر بروق البصر أي شخوصه وتحيره وانبهـاره من شدة الرعب . وذكر خسوف القمر أي ذهـاب ضوئه . وذكر اجتماع الشمس والقمر ، قيل يجمع بينهما فيطلعان من المغرب وقيل يجمع بينهما في ذهـاب الضياء وقيـل غير ذلك . وعند رؤية هـذه الأهوال يحاول ابن آدم الهرب من شدة الرعب والفزع فيتساءل إلى أين يكون الفرار والمعتصم ؟ فيجاب بأنـه ليس ثمة من مفر ولا مستقر إلا إلى الله ، فهو مرجع الخلائق وإليه مصيرهم .

قال تعالى :

« فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (٩) يَقُولُ ٱلْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (١٢) » .

وعندئذ يخبر الإنسان بكل ما قدمه من الأعمال حين العرض والحساب : قديمها وحديثها أولها وآخرها صغيرها وكبيرها .. وقيل يخبر بما قدّمه قبل الموت من عمل صالح أو سيىء وما ادخره بعده من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها من بعده اقتداء به .. ثم أخبر سبحانه أن الإنسان حجة على نفسه لا يحتاج إلى أن ينبئه غيره أو يشهد عليه بما فعل غير نفسه . فسمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه كل أولئك شهيد عليه ولو حاول أن يعتذر عن نفسه وعن صنيعه . قال تعالى :

« يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ ٱلْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) » .

بعد هذا أخذ سبحانه يوجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطريقة المثلى في تلقي الوحي . فأمره أن لا يعجّل بتحريك لسانه وشفتيه حين استماعه من الملك حالة إبلاغه الوحي كما كان يفعل . بل يصبر حتى يفرغ الملك

---

( برق البصر ) حار . ( خسف القمر ) ذهب ضوؤه. ( جمع الشمس والقمر ) جمع بينهما في ذهاب الضوء . ( لا وزر ) لا حصن ولا ملجأ . ( المستقر ) المرجع والمصير . ( معاذيره ) اعتذاراته .

من تبليغ ما أمره الله بتبليغه.. ووعد الله الرسول أن يجمعه له في صدره ويثبت قراءته على لسانه بحيث لا ينساه أو يتفلت منه مع بيان معناه وإلهامه شرحه على ما أراد جل وعلا . قال تعالى :

«لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) » .

( قرآنه ) أي قراءته . ( قرأناه ) أي قرأه الملك .

ثم عاد سبحانه إلى ذكر السبب في إنكار البعث والتكذيب بيوم القيامة وأوضح أن السبب هو حب الدنيا والعمل لها وترك الآخرة والتشاغل عنها فخاطب المكذبين بقوله ( كلا ) أي ليس الأمر كما تظنون أيها المكذبون ! إنما حملكم على التكذيب حبكم للدنيا ولهوكم بها وتشاغلكم عن الآخرة ..!وفرق بين حال المؤمنين والمكذبين الكافرين في الآخرة : المؤمنون لهم من متاع الآخرة النظر إلى وجه الرب الكريم مع نضرة وجوههم وهو غاية النعيم والكرامة بخلاف الكافرين فإن وجوههم عابسة كالحة مسودة مغبرة قد أيقنوا أن سوف تنزل بهم داهية عظيمة وأمر شديد وهو دخول النار . قال تعالى :

---

( لتعجل به ) تسابق الملك في قراءته . ( إن علينا جمعه وقرآنه ) جمعه في صدرك ثم تقرؤه . ( قرأناه ) أي تلاه عليك الملك . ( فاتبع قرآنه ) استمع إليه وأنصت . ( بيانه ) إيضاحه .

«كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ووجوه يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)» .

وفي قوله تعالى ( إلى ربها ناظرة ) حجة لأهل السُّنة في إثبات رؤية الله تعالى للمؤمنين دون الكافرين وقد ورد من الأحاديث الصحيحة في إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة عياناً بأبصارهم ما لم يجحده إلا أهل الزيغ والضلال .

ثم أخبر سبحانه بنهاية مرحلة العبد في الدنيا وانقطاع صلته بها بالموت وما يسبق الموت من حالة الاحتضار وما يعاني العبد من حشرجة إذا بلغت الروح إلى التراقي وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق وما يكون فيه أهل المحتضر من البلبلة والاضطراب فيطلبون له من يرقيه مما ألم به أو يشفيه وهيهات أن تجدي رقية أو علاج وقد أيقن المحتضر أنه مفارق الدنيا والتفَّت عليه الشدة بالشدة. شدة الموت بشدة الآخرة إذ أصبح في آخر أيام الدنيا وأول أيام الآخرة وهو المراد بقوله تعالى ( والتفَّت الساق بالساق ) وقيل في معناه أيضاً : اجتمع فيه الحياة والموت ، وقيل المراد ساقا المحتضر إذا التفتا بعد موته في الكفن فإلى الله مرجعه ومردّه وهو مسوق إليه قبل يوم القيامة وقد كان في دنياه يكذب

---

( العاجلة ) الدنيا . ( ناضرة ) حسنة مشرقة . ( إلى ربها ناظرة ) تنظر إلى ربها عياناً .
( باسرة ) عابسة مسودة . ( فاقرة ) داهية عظيمة .

بالحق ، لا يؤمن به ولا يعتقده ، ويعرض عن العمل به بجوارحه ثم يذهب مع ذلك متبختراً إلى أهله مختالاً في مشيته .. قال تعالى :

« كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (٢٨) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (٣٠) فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) » .

( يتمطى ) أصله يتمطط أي يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه ، قيل المراد بهذا هو أبو جهل .

ثم توعد الله صاحب تلك الصفات وعيداً مؤكداً ساخراً به لكفره واختياله قائلاً : يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك..! وأخذ يتساءل سبحانه ويقول : أيظن هذا الكافر المتبختر أنه سوف يهمل لا يؤمر ولا ينهى ، ويهمل في الآخرة لا يبعث ولا يجازى ؟ أو لم يكن مخلوقاً من مني مهين يراق من أصلاب الرجال في أرحام النساء ثم تدرّج في الخلق فكان بعد المني علقة ثم مضغة ثم تشكل ونفخ فيه الروح فصار خلقاً سوياً ذكراً أو أنثى .. أو ليس القادر على

---

( التراقي ) العظام التي بين ثغرة العاتق والنحر . ( راق ) طبيب يرقي ويداوي .
( التفت الساق بالساق ) المراد ساقا الميت التصقتا ببعضها . ( المساق ) المرجع والمصير .
( يتمطى ) يتبختر .

هذا الخلق السوي بقادر على إحيائه بعد موته كما بدأه ، قال تعالى :

« أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ (٤٠).

---

( أولى لك فأولى ) كلمة تهديد ووعيد . ( يترك سدى ) يترك مهملاً لا يؤمر ولا ينهى .
( يمنى ) يصب في الأرحام .

# تفسير سورة الانسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« هَلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً (١) إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣) ».

يخبر الله سبحانه أنه خلق الإنسان وأوجده من عدم بعد أن كان زمناً طويلاً شيئاً لا يذكر لحقارته وضعفه ، وبيّن سبحانه الأطوار التي مرّ بها الإنسان في خلقه ، فخلقه في بطن أمه من ماء ، ثم جعله علقة فمضغة فعظاماً ثم كسا العظام لحماً وكان هذا الإيجاد من العدم والخلق لاختبار الإنسان بالتكليف والقيام بالأوامر والنواهي . وقد جعل له سبحانه سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية وبيّن له طريق الخير والشر وسبيل الحق والباطل والهدى والضلال فانقسم الناس إلى موحد طائع ومشرك عاص . أو إلى فريقين : شقي ضل واتبع طريق الهالكين ، وسعيد امتثل أمر ربه وشكره وسلك طريق الراشدين .

---

( هل ) قد . ( حين ) زمن طويل . ( أمشاج ) أخلاط . ( نبتليه ) نختبره . ( هديناه السبيل ) بيّنا له طريق الخير والشر .

ثم بيّن ما أعدّه للفريقين من الجزاء في الآخرة فقال عن الكافرين إنه هيأ لهم النار أشد ألوان العذاب .. هيأ لهم ( سلاسل ) يسحبون بها ( وأغلالاً ) توضع في أيديهم وتغل بها أعناقهم ( وسعيراً ) وهي النار المستعرة شديدة الوقود ، بخلاف الأبرار وهم المؤمنون الصادقون المطيعون، فقد هيأ لهم من النعيم في رفيع الجنان ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .. هيأ لهم شراباً لذيذاً .. خمراً بارداً مزج بالكافور — قيل المراد بالكافور بياضه وطيب ريحه وبرودته — هذا الشراب هو من عين في الجنة يتصرف فيها الأبرار ويقودونها حيث شاءوا إلى قصورهم ومجالسهم .. قال تعالى :

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً (٤) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (٦) » .

وأخبر سبحانه أن هذا النعيم هو جزاء أعمالهم الطيبة في الدنيا فقد كانوا فوق ثباتهم على ما أوجبه الله عليهم من الطاعات ألزموا أنفسهم بواجبات أخرى بطريق النذر ووفوا بها وتركوا المحرّم عليهم خوف سوء الحساب يوم المعاد وحذراً مما يكون فيه من الشرور العظيمة المنتشرة التي تعم الخلائق إلا من رحم الله ، وكانوا يتصدقون بالطعام

---

( اعتدنا ) هيأنا . ( أغلالاً ) قيوداً . ( سعيراً ) ناراً . ( مزاجها ) ما تمزج به . ( كافوراً ) الكافور : طيب له رائحة زكية . ( يفجرونها تفجيراً ) يقودونها حيث شاءوا من منازلهم .

على المسكين وهو الفقير الذي لا مال له ، وعلى اليتيم وهو الصغير الذي لا أب له ، وعلى الأسير ، قيل الأسير على إطلاقه، وقد أمر رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأسرى . وقيل الأسير هو المملوك ، وقيل الزوجة ، وكان إحسانهم إلى هؤلاء بإطعامهم على حبهم للطعام وقلته وحاجتهم إليه ، وقيل يطعمون على حب الله ويقولون مع الإطعام بلسان الحال ( إنما نطعمكم لوجه الله ) ورجاء ثوابه لا نريد على هذا الإطعام مكافأة ولا شكراً من الناس لأننا نخشى عذاب الله فلعل الله يرحمنا من عذابه في اليوم العبوس القمطرير ، والعبوس الذي تعبس فيه الوجوه من هوله ، والقمطرير الشديد الطويل في البلاء.. قال تعالى :

« يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (١٠) » .

وعاد سبحانه في الآيات يذكر بقية ما هيأ للأبرار من النعيم والكرامة فأخبر سبحانه أنه أمن خوفهم من شرور ذلك اليوم وأعطاهم نضرة أي حسناً وبهاء في وجوههم وسروراً في قلوبهم وأنزلهم — جزاء صبرهم على الطاعات واجتنابهم للمنهيات وإطعامهم ذوي الحاجات وإيثارهم

---

( مستطيراً ) منتشراً ممتدا . ( عبوساً ) تعبس فيه الوجوه لأهواله ( قمطريراً ) أي شديداً أشد ما يكون من الأيام في البلاء .

على أنفسهم — جنة ينعمون فيها بالمنزل الرحب والعيش الرغيد واللباس الحسن، ويتكئون فيها على السرر ولا يحسون في الجنة بحرارة شمس ولا بشدة برد، وتقرب منهم ظلال الأشجار، وسخّر لهم ثمارهـا تسخيراً عجيباً بحيث لا يتعبون في قطفها بل يأكلون منها قياماً وقعوداً ومضطجعين دون مشقة أو عناء ويتناولونها كيف شاءوا ويطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من الفضة وبأكواب الشراب وهي من الكيزان من غير عرى، ومع أنها من الفضة إلاّ أنها شفافة جمعت بين صفاء الزجاج وشفافيته وبياض الفضة، وقد قدّر السقاة لهم من الخدم مقدار الشرب فيها بحيث يكون الكأس على قدر الشراب الموضوع فيـه لا يزيد ولا ينقص، بل هو على قدر حاجة الشارب وتلـك منتهى العناية والإكرام . ويسقى الأبرار في هذه الأكواب خمراً ممزوجة بالزنجبيـل وكانت العرب تستطيب الزنجبيل فوعـدهم الله أن يسقيهم في الجنة الكأس المزوجة بزنجبيل الجنة . ومبالغة في الكرامـة يمزج لهم الشراب بالكافور تارة وهو بارد وبالزنجبيل أخرى وهو حار ليعتدل الأمر، والزنجبيل هو عين في الجنة ( تسمى سلسبيلا ) سميت بذلك لسلاسة مائهـا وحدة جريها وقيل لسلاستها في الحلق وقيل لأنها سلسة منقادة، تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم .

قال تعالى :

« فَوَقَيٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (١١) وَجَزَٰيهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (١٢) مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى

---

( نضرة ) حسناً في وجوههم .

ٱلْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) » .

ثم أخذ سبحانه يذكر أوصاف خدم الأبرار وسقاتهم فذكر أنهم ( ولدان ) أي من صغار الخدم لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون . وهو المراد من قوله تعالى : (مخلدون) إذا رآهم الرائي منتشرين في قضاء حوائج الأبرار مع كثرتهم وحسن ألوانهم وثيابهم حسبهم اللؤلؤ في رونقه وحسنه وهو منتشر .

ثم أخذ سبحانه يخاطب الرسول ﷺ قائلاً : ( وإذا رأيت ثم ) أي هناك في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبور والسرور رأيت مملكة لله عظيمة وسلطاناً باهراً .. ثبت في الصحيح أن

---

( الأرائك ) السرر عليها الأستار . ( شمساً ولا زمهريراً ) لا حراً مزعجاً ولا برداً مؤلماً . ( دانية ) قريبة . ( ذللت ) قربت للمتناول . ( قطوفها ) ثمارها . ( أكواب ) آنية شراب لا عرى لها ولا خراطيم . ( قوارير من فضة ) في بياض الفضة وصفاء الزجاج . ( قدّروها ) جعلوا الشراب فيها على قدر حاجة الشارب . ( كأساً ) خمراً . ( زنجبيلا ) ممزوجة بالزنجبيل . ( سلسبيلا ) سلسة منقادة .

الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً إليها « إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها » .

ثم ذكر سبحانه نوع لباس أهل الجنة فقال إن عليهم ثياباً من الحرير وهي على صنفين صنف رقيق وهو السندس يُلبس مما يلي البدن كالقمصان، وصنف غليظ وهو الإستبرق له بريق ولمعان يلبس من الظاهر . ويلبسون أيضاً حُلياً في أيديهم وهي الأساور من الفضة .

أما شرابهم فقد وصفه تعالى بأنه طهور قيل في معناه إنه طاهر لم تدنسه الأيدي والأرجل عند عصره كخمر الدنيا ، وقيل هو عين على باب الجنة مَن شرب منها نزع الله ما في باطنه من الغل والحقد والحسد وسائر الأخلاق الرديئة . ويقال لأهل الجنة حين يشاهدون هذا النعيم : هذا جزاء أعمالكم الصالحة وسعيكم في الدنيا بطاعة الله تعالى ، جزاهم الله على القليل من العمل في الدنيا بالكثير من الفضل في الآخرة . قال تعالى :

« وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (٢٢) » .

---

( ولدان ) جمع وليد وهو الصغير . ( مخلدون ) لا يكبرون ولا تزيد أعمارهم عن سن الوليد . ( ثَم ) بفتح الثاء : هناك . ( عاليهم ) عليهم . ( سندس ) حرير رقيق . ( استبرق ) حرير غليظ .

بعد ذلك أخذ سبحانه يمتن على رسوله بإنزال القرآن عليه تنزيلاً أي متفرقاً ولم ينزله جملة واحدة وطلب مقابل هذه المنة العظيمة أن يصبر ( لحكمه ) ولما قدره عليه وقضاه في تبليغ الرسالة من تحمل المشاق والأذى .. وأمره ألا يطيع ( آثماً أو كفوراً ) من قومه . . الآثم هو الفاجر في أفعاله ، والكفور هو الكافر قلبه . وقيل أشخاصاً بأعينهم كأبي جهل والآية عامة لكل من ينطبق عليه وصف الآثم أو الكفور .

وأمر سبحانه أن يذكره في بكور الأيام وأصائلها أي في أوائلها وأواخرها ، قيل : أراد بالذكر الصلاة وبالبكرة صلاة الفجر وبالأصيل صلاتي الظهر والعصر ، وبقوله : ( ومن الليل فاسجد له ) صلاة المغرب والعشاء ، وقيل أراد بهذه الآية صلاة التطوع في الليل .

ثم أخذ سبحانه ينكر على الكفار ومن شابههم تقديم ( العاجلة ) أي الدنيا على ( الآخرة ) ويقول ( إن هؤلاء ) يحبون الدنيا ونعيمها الزائل ويتركون ما يكون أمامهم من الحساب في اليوم الشديد الأهوال وهو يوم القيامة فلا يؤمنون به ولا يعملون له .

ثم أخذ سبحانه يذكر إيجادهم من العدم وأنه سبحانه أحكم خلقهم وهو المراد من قوله تعالى : ( وشددنا أسرهم ) وقيل : شددنا أسرهم أي أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب وإذا شاء إهلاكهم أهلكهم وأتى بقوم آخرين بدلاً منهم !

وختم الآيات سبحانه بقوله : إن هذه السورة بما فيها من ترغيب ووعد ووعيد وغير ذلك هي ( تذكرة ) وعظة للمتأملين ( فمن شاء ) الخير لنفسه فليتقرب إلى الله بطاعته واتباع أمره واجتناب نهيه فذلك خير مسلك

يوصله إلى الله . على أن مشيئة العبد لا توصله إلى ما يريد من الهداية ( إلا أن يشاء الله ذلك له ) . ليس في مقدور أحـــد أن يهدي نفسه أو يجر لها نفعاً إلا بمشيئته تعالى ، والله أعلم بمن يستحق الهداية فييسرهـا له ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى بعدله وحكمته البالغة ، ولا يظلم ربك أحداً . فمن كتب له الهداية أدخله في رحمته ومن كتب عليه الشقاء لما يعلم من سريرته ونفسه هيأ له في الآخرة عذاباً أليماً . قال تعالى :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ تَنْزِيلاً ( ٢٣ ) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (٢٤) وَٱذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٨) إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩) وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (٣١) » .

---

( بكرة وأصيلا ) أول النهار . ( العاجلة ) الدنيا . ( يذرون ) يتركون .
( يوماً ثقيلا ) يوماً شديداً . ( شددنا أسرهم ) أحكمنا خلقهم .

# تفسير سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً (٥) عُذْراً أَوْ نُذْراً (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) » .

أجمع جمهور المفسرين على أن ( المرسلات ) الرياح ، و ( عرفاً ) متتابعة أي الرياح التي أُرسلت متتابعة ، ومثل المرسلات ( العاصفات ) أي التي تعصف بشدة فيكون لها دوي وصوت مرتفع ، و ( الناشرات ) قيل هي الرياح أيضاً تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الله عز وجل ، وقيل الملائكة الموكلون بالسحب ينشرونها . ( فالفارقات فرقاً ) هي الملائكة تنزل بأمر الله على الرسل تفرّق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام فتلقي إلى الرسل وحياً فيه إعذار إلى الخلق وإنذار لهم من عقاب الله إن خالفوا أمره .. يقسم الله تعالى بكل

---

« المرسلات » الرياح . « عرفاً » متتابعة . « العاصفات » الشديدة الهبوب . « الناشرات » الرياح التي تنشر السحاب . « الفارقات » الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل . « الملقيات ذكراً » الملائكة تلقي الوحي والذكر إلى الأنبياء . « عذراً أو نذراً » تلقي الذكر لإزالة الأعذار والتخويف من سوء العاقبة .

ذلك : بالرياح في هبوبها المتتابـــع وعصفها وبالرياح إذا نشرت السحاب في آفاق السماء ثم بالملائكة الذين ينزلون بالوحي من عند الله فيه ما يفرق بين الحق والباطل وفيه الإعذار إلى الخلق والإنذار لهم . يقسم الله بكل هـــذه الأشياء أن وعده في أمر قيام الساعة والبعث وجزاء كل نفس بمـا عملت .. كل ذلك .. كائن لا محالة !

ثم أخبر بوقت وقوع ذلـــك وهو حين يذهب ضوء النجوم ويمّحي نورها ، وإذا فرجت السماء أي تشققت وتدلت ، وإذ نسفت الجبـال أي قلعت من أماكنها فلا يبقى لهـــا أثر ، وإذا جمع الرسل لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم وهو المراد من قوله تعـالى : ( أقتت ) وقيل : أجلت . ثم تساءل سبحانه قائلا : ( لأي يوم ) أخر أمر الرسل والفصل بينهم وبين أُممهم وشهادتهم على أُممهم ، وأجـاب على هذا التساؤل بقوله : ( ليوم الفصل ) أي أجل أمرهم ليوم فصل الرحمن بين الخلائق . وكرر سبحانه ذكر يوم الفصل بصيغة الاستفهام فقال : ( وما أدريك ما يوم الفصل ) لتعظيمه وتهويل أمره . ثم قال : ( ويـل يومئذ للمكذبين ) أي : ويل لهم من العذاب في جهنم في ذلـــك اليوم . قال تعالى :

« فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وإذا السَّماءُ فُرِجَتْ (٩) وإِذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ؟ (١٢)

---

« طمست » ذهب ضوؤها ، « فرجت » انشقت . « نسفت » قلعت من أماكنها .
« أقتت » جمعت للوقت المحدد .

لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥) » .

وبعد أن حذر سبحانه الكافرين من يوم الفصل وأهواله أخذ يذكر سبحانه لوناً آخر من التخويف ويعدد ما أنزله بالأمم الماضية المكذبة للرسل من الهلاك والعذاب في الدنيا ، كقوم نوح وعاد وغيرهم . وأنه سوف يتبع بالهلاك المكذبين من المتأخرين كالمكذبين من قريش لرسول الله ﷺ ، ومثل هذا الصنيع في العذاب والهلاك سوف يُفعل بكل مجرم لأن سنة الله في جميع المجرمين واحدة لا تتغير . قال تعالى :

« أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) .

وأخذ بعد ذلك سبحانه يمتن على العباد بخلقهم من ماء مهين وهو النطفة الحقيرة الضعيفة ، وجَعْل هذا الماء في الأرحام مستقراً متمكناً إلى مدة معينة هي وقت الولادة ، وقدرته سبحانه على تصوير الإنسان كما أراد في أحسن صورة ( فنعم ) الباري جل جلاله في بديع صنعه والويل لمن كذب بالبعث فإن من قدر على الإنشاء من العدم قدر على الإعادة . قال تعالى :

« أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ مِن مَّاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١)

---

« ليوم الفصل » ليوم القيامة . « ماء مهين » حقير وهو النطفة . « فجعلناه في قرار مكين » جمعه الله في موضعٍ حصين وهو الرحم .

إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) » .

ثم بيّن الله جانباً مما قدر عليه في صيغة سؤال فذكر أنه جعل ( الأرض كفاتاً ) تضم العباد على ظهرها ( أحياء ) وفي بطنها ( أمواتاً ) وذكر أنه جعل في تلك الأرض جبالاً ( رواسي ) مستقرة ( شامخات ) ضخمة جداً ومرتفعة لئلا تميد وتضطرب فلا يحصل الانتفاع بها ولا الاستقرار عليها ، وذكر سبحانه أنه سقى عباده ( ماء فراتاً ) أي عذباً بشق الطرق ، بالعيون والآبار وبالأنهار والأمطار ، ثم ختم هذا المعنى وهذه الآيات بما ختم به الآيات السابقة فتوعد المكذبين بهذه الآيات بالويل في ذلك اليوم .. قال تعالى :

« أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتاً (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) » .

ثم أخبر سبحانه ببعض ما أعده للكافرين المكذبين بالمعاد من الجزاء فقال إنهم يؤمرون يوم الحساب بالانطلاق إلى ما كانوا يكذبون به في

---

( إلى قدر معلوم ) إلى مدة معينة وهي مدة الحمل . ( فقدرنا ) كنا قادرين على ذلك . ( كفاتاً ) وعاء ؛ ومعنى الكفت : الضم والجمع ، تضمهم أحياء على ظهورها في الدور وتجمعهم أمواتاً بجوفها في القبور . ( رواسي ) جبالاً . ( شامخات ) عاليات . ( فراتاً ) عذباً .

الدنيا وهو العذاب ، وبيّنه سبحانه بقوله ( ظل ذي ثلاث شعب ) ذلك هو دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق ، وهو لا يُظل من الحر ولا يغني من لهب النار . وأخبر سبحانه أيضاً أن جهنم ترمي شررها كأنه في ضخامته وعظمته القصر العظيم ، أو الحصن ، وكأنه الجمال السود في اللون فإن العرب تسمي الأبل السوداء صفراً لأن سوادها يشوبه شيء من الصفرة ، ذكره البغوي . وجاء في الحديث : « هي حبال السفن تجمع إلى بعض حتى تكون كأوساط الجمال » . ثم ختم الله هذه الآيات بقوله : ويل يومئذ للمكذبين يوم لا يجدون ما يدفعون به العذاب عن أنفسهم . قال تعالى :

« انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) » .

ثم أخبر سبحانه عن حال الكافرين المكذبين بيوم المعاد فقال : إنهم يوم القيامة لا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه للاعتذار عما أسلفوه من الكفر والتكذيب ، فقد قامت عليهم الحجة . ثم ختم الآيات بما هو معروف من توعد المكذبين به .. قال تعالى :

---

( ظل ذي ثلاث شعب ) المراد به دخان جهنم إذا ارتفع انشعب إلى ثلاث شعب . ( لا ظليل ) لا يظل من الحر . ( ولا يغني من اللهب ) لا يرد لهب جهنم . ( كالقصر ) كالبناء الضخم . ( جمالة صفر ) إبل صفر أو سود .

« هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) » .

ثم كرّر سبحانه القول عن يوم الجزاء وأخبر أنه ( يوم الفصل ) أي الذي يفصل فيه بين الخلائق ويجزي كلا بعمله ، ويحاسب فيه على النقير والقطمير . ولأجل هذا الجزاء والحساب جمع المكذبين به والجاحدين له من أمة محمد مع المكذبين للرسل من الأمم السابقة ، وطلب من الكفار أن يحتالوا لأنفسهم في الخلاص من العذاب إن كان لهم حيلة تنفعهم ، وذلك على سبيل التعجيز والتبكيت . ثم عاد إلى توعدهم بالويل في هذا اليوم الذي عجزوا فيه عن دفع العذاب عن أنفسهم والاحتيال لخلاصهم . قال تعالى :

« هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) » .

وبعد أن بيّن سبحانه حال أصحاب الجحيم من المكذبين بيوم الدين وما أعدّه لهم من ألوان العذاب والنكال ، بيّن أحوال عباده المتقين الذين قاموا بأداء الواجبات وترك المحرّمات واجتنبوا الشرك في العبادات . فأخبر أنهم يوم القيامة على العكس من أولئك المكذبين . وأنهم ينعمون تحت ظلال الأشجار الوارفة ويشربون من ماء عيون الجنان ويأكلون من كل أنواع الثمار وكل ما يشتهونه من فواكه يتلذذون بها ، ويقال لهم على سبيل الإحسان

---

( كيد ) حيلة .

إليهم ( كلوا واشربوا ) وتنعموا جزاء قيامكم بطاعة الله تعـالى في الدنيا . وبمثل هذا الجزاء يثيب الله كل من أحسن العمل وقام بأداء ما افترض عليه ، ثم عرج على المكذبين بهذا الجزاء العادل فتوعدهم بعد أن وصف ما وعد به المتقين. قال تعالى :

« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) » .

ثم أخذ سبحانه يأمر المكذبين الجاحدين أمر تهديد ووعيد قائـلا : ( كلوا وتمتعوا ) في الدنيا إلى آخر آجالكم فإن أجل الدنيـا محدود ومتاعها قليل ، وبعد هذا المتاع القليل في الدنيا سوف تساقون إلى العذاب لأنكم مشركون كافرون بربكم ، مكذبون بوعده ، مستحقون لعذابه ، قال تعالى :

« كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) » الذين تعرّضوا لعذاب الله لتكذيبهم بهذا اليوم .

ثم أخبر سبحانه أن هؤلاء المكذبين كانوا في الدنيا عن عبـادة الله مستكبرين ، وعن الركوع لله غير مستجيبين ، والمراد بالركوع الصلاة جميعها . قال تعالى :

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) » .

أي بأوامر الله ونواهيه ، قال ابن عباس : إنما يقال لهم ذلك في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون .

وختم سبحانه السورة بالتعجب من حال هؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن الذين لم ينتفعوا بعظاته ولم يؤمنوا بآياته ؛ وفيها الأدلة الناطقة بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والبراهين الواضحة على أن هـذا القرآن كلام الله ومنزل من عند الله ، يقول الله تعالى متعجباً : فإذا كانوا لا يؤمنون بالقرآن الذي فيه أخبار الأولين والآخرين وقصص المكذبين وما أنزل الله بهم من العذاب الأليم . فأي كلام بعد القرآن يؤمنون به ؟ قال تعالى :

« فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) » . *

---

(*) بنهاية سورة المرسلات ، ينتهي مقرر السنة الأولى بالمعهد في التفسير.

# تفسير سورة النبأ

وتسمى سورة ( عمّ )

بسم الله الرحمن الرحيم

« عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) » .

عمّ . أصله « عن ما » فأدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما فصارت « عمّ » كما يقال فيم، فهي لفظة استفهام، والمعنى: عن أي شيء يسأل المشركون بعضهم بعضاً ، ثم أجاب عن هذا السؤال بقوله : ( عن النبإ العظيم ، الذي هم فيه مختلفون ) أي الخبر العظيم الشأن الذي اختلفوا في أمره ، والمراد به البعث بعد الموت وغدوا فيه بين رجلين منكر له أو شاك فيه ، وقيل المراد بالنبأ العظيم القرآن ، وغدا الناس فيه بين مؤمن به وكافر. أما كلا سيعلمون فهو تهديد ووعيد بعد وعيد ، أي سيعلمون عاقبة تكذيبهم في الآخرة عندما تنكشف الأمور ..

بعد هذا أخذ سبحانه يعرض جملة من الأمور الدالة على عظيم قدرته والتي يستنتج منها أن من كان قادراً على إيجاد هذه الأمور العظيمة فهو على الإعادة والبعث أقدر ، فذكر سبحانه أنه جعل الأرض مهاداً أي كالفراش

---

( عم ) عن أي شيء . ( النبأ العظيم ) الخبر الهائل وهو البعث بعد الموت .

المهد بحيث يُقيم عليها الناس والدواب وهي قارّة ثابتة ، وأرساهـا بالجبال فجعلها لها أوتاداً لتسكن فلا تضطرب ، وجعل من الخليقـة ذكراً وأنثى ، وجعل النوم قطعاً للحركة لتحصل به راحة الأبدان من الكد في أمر المعـاش ، وجعل سبحانه الليل ساتراً للعباد حيث يغشى الخليقة بظلامه .. وعلى عكسه النهار جعله سبحانه مبصراً نيّراً ليتمكن الناس فيـه من التكسب والسعي في أمر المعاش ، وخلق سبع سماوات محكمة متقنة الخلق ليس فيهـا شقوق ولا فطور ، وجعل الشمس مضيئة منيرة، فالوهج يجمع بين النور والحرارة . وأنزل سبحانه من المعصرات وهي السحاب مطراً كثير الانصباب متتابعـاً ، ليخرج بهذا الماء المبارك الكثير جميع أنواع الحبوب مما يأكله الناس ، ويخرج بـه أيضاً نباتاً وهو ما تنبته الأرض مما تأكله الأنعام من العشب ، وليخرج به البساتـين الناضرة والحدائق فيها من جميع الثمار المتنوعة ، مجتمعة فيها الأشجار وهو معنى ( ألفافاً ) أي ملتفة بالشجر . قال تعالى :

« أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً (٦) وَالجِبَالَ أَوْتَاداً (٧) وَخَلَقْنَـكُمْ أَزْوَاجاً (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً (١٢)

---

( مهاداً ) ممهدة . ( أزواجاً ) أصنافاً : ذكوراً وإناثاً . ( سباتاً ) راحـة لأبدانكم . ( لباساً ) ساترا كاللباس . ( معاشاً ) وقتاً للمعاش .

وَجعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتاً (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً (١٦)».

وبعد أن وجَّه أنظار العباد إلى دلائل قدرته الباهرة مستدلاً بها على البعث، أخذ يخبر عن يوم الفصل وهو يوم القيامة وأن له وقتاً محدداً وميعاداً للأولين والآخرين، ولما وعد به من الجزاء والثواب، وذلك يوم النفخ في الصور للبعث والخروج من القبور، حيث يأتي الناس إلى موضع العرض زمراً وجماعات كل أمة مع رسولها، وحيث تتشقق السماء فتكون طرقاً ومسالك لنزول الملائكة، وتصير ذات أبواب، وتزحزح الجبال عن أماكنها فلا يكون لها ثبات، بل تكون كالسراب يراه الرائي من بُعد فإذا اقترب منه لا يرى شيئاً.. قال تعالى:

«إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً (٢٠)».

وبعد أن ذكر سبحانه يوم الفصل وما يكون فيه من العرض والجزاء وتشقق السماء وزحزحة الجبال عن أماكنها ذكر ما يكون بعد ذلك من المرور على متن جهنم وما أعده للكافرين من العذاب وما هيأه للمؤمنين

---

(سراجا) شمساً. وهاجاً يجمع فيه النور والحرارة. (المعصرات) السحاب. (ثجاجاً) منصباً بكثرة. (ألفافاً) ملتفة بالشجر. (أفواجاً) جماعات. (سراباً) كالسراب في ترائيها للعين وذهابها.

من النعيم ، فقال إن النار مرصدة ومعدة للكافرين المكذبين برسل الله . وقيل في معنى ( مرصاداً ) أيضاً موضع الرصد تنتظر الكفار ليدخلوها ، وقيل هي طريق وممر فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار ..! ومعنى ( مآباً ) أي مرجعاً ومصيراً ومنزلاً ، وسوف يمكث الكفار فيها آماداً طويلة ودهوراً لا نهاية لها كلما انقضى زمن تجدد لهم زمن آخر ، وهم على ذلك لا يجدون في جهنم ، طوال هذه المدة ، برداً ينفعهم من حر السعير ، ولا شراباً يرويهم من العطش إلا الحميم والغساق ، والحميم هو الماء الحار في منتهى درجة الحرارة ، والغساق هو صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم ، وهذا العذاب الذي نزل بهم هو وفق أعمالهم في الدنيا وكفرهم بالله وتكذيبهم رسله ، ولأنهم كانوا في الدنيا لا يخافون أن يحاسبوا على أعمالهم ، ولا يعتقدون بوجود دار يجزون فيها على سيئاتهم ، وكانوا يكذبون بجميع الأدلة والبراهين الدالة على توحيد الله والنبوة والمعاد وبجميع ما جاء به القرآن ، يكذبون به تكذيباً . وقد أحصى الله كل أعمال العباد وكتبها عليهم وسيجزيهم بها إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، ويقال لأهل النار تيئيساً لهم من الكف عن العذاب بل إخباراً لهم بالزيادة منه ألواناً ( ذوقوا ) ما أنتم فيه من العذاب ( فلن نزيدكم إلا عذاباً ) من جنس هذا العذاب .. قال تعالى :

« إنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً (٢١) لِلطَّاغِينَ مَئَاباً (٢٢) لَابِثِينَ

---

( مرصادا ) موضعاً للرصد . ( مآبا ) مرجعاً .

فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) » .

ثم انتقلت الآيات يخبر الله فيها عما هيأه لعبـــاده المتقين من النعيم المقيم ، فذكر أن لهم فوزاً ونجاة من النار ، قال ابن عباس : متنزهاً . ثم فسّر هذا الفوز والنعيم بقوله : إن لهم حدائق أي بساتين فيها من جميع النخيل والشجر المثمر والعنب ، ولهم كواعب جمع كاعب وهي الجارية الناهد لم يتدل ثديها ، وقيل كواعب أي عذارى ، وأتراباً أي في سن واحدة ، ولهم كأس من الخمر ملأى متتابعة ، ومع هذا الشراب لا تتغير عقولهم فيحدث منهم ما يحدث للشاربين في الدنيا من اللغو وهو الكلام الباطل ، ولا يسمعون كذاباً أي لا يكذّب بعضهم بعضاً ، فالجنة دار السلام ليس فيها كلام لاغ عـــار عن الفائدة ، ولا إثم أي كذب . وقد جازاهم الله بهذا الجزاء وأعطاهم إياه بفضله وإحسانه عطاء كثيراً وافياً . يقال أحسبت فـلاناً أي أكثرت له العطاء حتى قال : حسبي . قال تعالى :

« إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ

---

( أحقابا ) مدداً طويلة . ( حميا ) حارة . ( غساقاً ) قيحاً وصديداً . ( كذاباً ) تكذيباً . ( مفازاً ) فوزاً ونجاة . ( كواعب ) جمع كاعب . وهي الفتاة التي استدار ثديها .

أَتْرَاباً (٣٣) وَكَأْساً دِهَاقاً (٣٤) لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً (٣٥) جَزاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً (٣٦) » .

ثم أخبر سبحانه عن عظمته وجلاله ، وأنه خالق السموات والأرض وما بينهما والمدبر لشؤونها والمتصرف فيها ، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء ، ولا يقدر أحد من الخلائق على مخاطبته إلا بعد إذنه ، وذلك يوم القيامة ، ( يوم يقوم الروح ) — هو جبريل — وتقوم الملائكة مصطفين لا يقدر أحد منهم أن يتكلم ، أي يشفع ، إلا من أذن الله له في الشفاعة ، فلا يشفع إلا فيمن كان يقول في الدنيا قولاً صواباً وهو أن يُقر بالتوحيد ويعمل به ، وقيل لا يستطيع أحد من الخلائق جميعاً أن يتكلم إجلالاً لله وهيبة منه إلا من أذن الله له في الكلام ، وكان ممن يقول في الدنيا حقاً ويعمل به ، والحق هو الشهادة لله بالتوحيد .

ثم نوه سبحانه عن عظمة يوم القيامة بأنه اليوم الذي لا شك في وقوعه ، فمن شاء الأمن فيه فليتخذ وسيلة بطاعة الله والعمل الصالح الذي يقرّبه من ربه وينال به الأمن من عذابه .. وعاد سبحانه لتخويف الكفار وإنذارهم فقال سبحانه : إنه أنذرهم من العذاب يوم القيامة ، وهو قريب لتأكد وقوعه عندما ينظر المرء ما قدم من أعمال صالحة وسيئة ، وما صنعه في الدنيا من خير وشر ، فيستبشر المؤمن بوعد الله له على الجزاء الحسن ، أما الكافر فيودّ حين يرى العذاب وحين يشهد أن كل أعماله

---

( أتراباً ) مستويات في السن .( كأساً دهاقاً ) ممتلئة .( عطاء حساباً ) كافياً وافياً .

السيئة قد سطرت عليه ، يود أنه كان في الدنيـــا تراباً ولم يخلق ولم يخرج إلى الوجود .. قال تعالى :

« رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَـــالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا (٣٩) إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابـــاً قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا (٤٠) » .

---

( الروح ) جبريل . ( صواباً ) قولاً صحيحاً لا شطط فيه ولا خروج . ( مآباً ) مرجعاً .

# تفسير سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقاً (١) وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطاً (٢) وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحاً (٣) فَالسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقاً (٤) فَالْمُـدَبِّرَٰتِ أَمْراً (٥) » .

اختلفت عبارات المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشيء واحد أم لأشياء مختلفة .. وقد أقسم سبحانه بهذه الأشياء على أن القيامة حق لا ريب فيه . والنازعات جاء في تفسيرها عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من مفسري السلف أنها الملائكة تنزع أرواح بني آدم ، فمنهم من تأخذ روحه بعسر وتبالغ في نزعها من جسده تعذيباً له .. وهذه أرواح الكفار .. ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وهذه أرواح المؤمنين تقبضها بسهولة كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنه وهو تفسير قوله تعالى : ( والناشطات نشطاً ) . وأما ( السابحات سبحاً ) فهي الملائكة

---

( النازعات ) الملائكة تنزع أرواح الكفار . ( غرقاً ) بعسر وشدة . ( الناشطات ) الملائكة تقبض أرواح المؤمنين . ( نشطاً ) بسهولة . ( والسابحات ) الملائكة تنزل من السماء مسرعة بأمر الله . ( فالسابقات ) الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة .( فالمدبرات أمراً) الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر الله .

في طريقة قبضها لأرواح المؤمنين : تسلها من الجسد سلاً رقيقــاً بسهولة ثم تدعها تستريح كالذي يسبح في المـــاء فأحياناً ينغمس وأحياناً يرتفع . ( فالسابقات سبقاً ) هي الملائكة أيضاً تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنـــة وقيل الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح . ( فالمدبرات أمراً ) هي الملائكة أيضاً . ولم يختلف أحـــد من المفسرين في تفسيرها بالملائكة ، تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر الله عز وجل فكل منهم موكل بعمـــل حسب أمره تعالى وتدبيره..ومن أول السورة إلى هنا قَسَمٌ أقسم الله به وجواب القسم مضمر كأنه قال : والنازعات غرقاً ، وكذا وكذا إلى نهاية القسم والجواب : لتبعثن ولتحاسبن .

ثم حدد الله هذا البعث والحساب بأنه سيحدث يوم تتحرك وتتزلزل الأرض والجبال ويموت جميـع الخلق لسماع ( الرّاجفـــة ) وهي النفخة الأولى وصفت بمـــا يحدث بحدوثها ثم ( تتبعها ) أي تتلوها النفخة الثانية وهي ( الرادفـة ) ردفت الأولى وبينهما أربعون سنة كما جاء في الحديث ، فالأولى تميت كل شيء ، والثانية تحيي كل شيء بإذن الله تعـــالى أي للبعث والحساب . فإذا وقف العبـاد في موقف العرض على الله لحسابهم عندئذ تكون قلوب الـكافرين الجاحدين للبعث في الدنيا والمستبعدين لوقوعـه ( واجفـة ) أي خائفة وأبصار أصحابها ذليلة حقيرة مما عاينت من أهوال القيامة ، ذلك لأنهم كانوا لا يصدقون بهذا اليوم ويقولون في غرابة واستنـكار وتعجب : هل بعد الموت وبعد أن نصير ( عظاماً نخرة ) بالية نرد إلى ( الحافرة ) أي إلى أول أمرنا فنصير أحياء ؟ وقيـل الحافرة وجه الأرض التي تحفر فيهـا قبورهم ، فحافرة بمعنى محفورة ،

يستغربون رجعتهم بعد الموت أحياء على الأرض ويقولون : لئن صح هذا البعث وهذه الكرة أي الرجعة للحياة بعد الموت ، فنحن اذن خاسرون لأننا كذبنا بها ، وهو استهزاء منهم ومبالغة في الكفر وعدم التصديق بالبعث ، فرد الله عليهم قائلاً : إنما هي النفخة الأخيرة إذا أمر الله بها فلا رادّ لأمره وسوف يكون جميع الخلائق على وجه الأرض يخرجون من قبورهم إلى المحشر. قال تعالى :

« يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ ءَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ (١٠) ءَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) » .

ثم أخذ سبحانه يسلي الرسول صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه بذكر قصة نبي الله موسى مع فرعون ملك مصر حين أرسله الله ليدعوه إلى عبادة الله وتوحيده ، فقال سبحانه مخاطباً الرسول : هل سمعت أو جاءك خبر ( موسى ) حين كلمه الله بالوادي المبارك المطهر المسمى ( طوى ) فقال له : ( اذهب إلى فرعون ) فإنه تجاوز الحد في التجبر والتكبر والطغيان ، وقل له : هل ترغب في أن تتطهر من الآثام وتسلك مسلكاً

---

( الراجفة ) النفخة الأولى . ( الرادفة ) النفخة الثانية بعد الأولى . ( واجفة ) مضطربة . ( خاشعة ) ذليلة . ( الحافرة ) وجه الأرض . ( نخرة ) بالية . ( كرة خاسرة ) رجعة خائبة . ( زجرة ) صيحة . ( بالساهرة ) على وجه الأرض.

تتزكى فيه نفسك وتطيع به ربك ، وأدلك إلى عبادة ربك فيصير قلبك خاشعاً مطيعاً بعد أن كان قاسياً متجبراً ؟ وأظهر موسى لفرعون أدلة واضحة على صدقه بأنه مرسل إليه من عند الله ، قيل : هي العصا التي ألقاها في الأرض فصارت حية تسعى ، ويده التي أدخلها في جيبه فخرجت بيضاء تتلألأ ، ومع ذلك كذّب فرعون موسى وكذّب بالحق الذي جاء به مع وضوح الأدلة عليه ، وعصى الله ولم يلتزم الإيمان بل أخذ يكابر ويزعم أن موسى ساحر ، وأن ما جاء به هو السحر لا المعجزة الباهرة ، وأخذ يسعى في الأرض بالفساد ؛ ومن الفساد أنه جمع السحرة ليقابل بسحرهم وباطلهم الحق الذي جاء به موسى والمعجزة التي أيده الله بها ، وجمع جنوده وأعوانه ثم قال لهم : ( أنا ربكم ) الذي لا رب فوقي ؛ فانتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من الجاحدين ؛ ففي الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالعذاب الأليم في النار ، وإن في هذا الانتقام الذي انتقمه الله من فرعون حين كذّب وعصى لعظة لمن يتعظ وزجراً لمن يزدجر . قال تعالى :

« هَلْ أَتَيٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوىً (١٦) ٱذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ

---

( بالواد المقدس ) المطهر . ( طوى ) اسم الوادي . ( طغى ) تجاوز الحد. ( الآية الكبرى) معجزة انقلاب العصا حية .

يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ ٱللهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦) » .

ثم أخذ سبحانه ينكر على منكري البعث ويحتج عليهم قائلاً : أخلقكم بعد الموت أشد وأصعب عندكم وفي تقديركم أم خلق السماء مع عظمها؟ وفي ذلك استنتاج لعظمة قدرة الله تعالى وإلزام لمنكري البعث بأن من قدر على خلق السماء مع عظمها قادر على خلق الإنسان الضعيف وقادر على إعادته بعد الموت أيضاً . وأخذ سبحانه يذكر كيفية خلق السماء فقال إنه ( رفع سمكها ) أي سقفها وقيل جعل مقدار ارتفاعها عالياً . ( فسواها ) أي جعل خلقها مستوياً لا تفاوت ولا شقوق ولا فطور ، وجعل ليلها مظلماً ، يقال غطش الليل إذا أظلم ، وجعل نهارها ظاهراً واضحاً . ثم وصف سبحانه كيفية خلق الأرض فقال سبحانه : إنه دحا الأرض بعد خلق السماء ، والدحو معناه البسط . وعن ابن عباس قوله : ( دحاها ) أي أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والسهل والآكام ثم ذكر أنه فجّر من الأرض العيون والينابيع والأنهار وأنبت فيها النبات سواء أكان قوتاً لبني آدم كالحب والثمر ، أم قوتاً ترعاه الماشية كالأعشاب والحشائش ، وثبت الجبال في أماكنها وجعلها كالأوتاد لئلا تميد الأرض بأهلها وتضطرب ، وفعل كل ذلك

---

( فحشر ) جمع . ( نكال ) عقوبة .

ليتمتع به سكان الأرض مدة بقائهم عليها . قال تعالى :

« ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) ».

وبعد أن بيّن سبحانه قدرته العظيمة مستدلاً عليها بخلق الأكوان ونشر الأموات أخذ يبيّن صدق ما أوحى به إلى الرسل من أن ذلك اليوم الذي ينشر فيه الأموات حق لا مرية فيه ، فإذا جاءت طامته الكبرى ، وهي النفخة الثانية التي يكون فيها البعث وتقوم القيامة ، حينئذ يتذكر ابن آدم كل ما عمله من خير أو شر في الدنيا ، وتظهر النار ظهوراً بيّناً فيراها الناس عياناً ، فمن تجاوز الحد في العصيان وقدّم الدنيا على الآخرة وآثر لذتها على ثواب الآخرة فإن النار مسكنه ومستقره ( وأما من خاف ) وقوفه بين يدي الله وحسابه له ( ونهى ) نفسه عن الوقوع فيما حرم الله عليه فإن الجنة سوف تكون مسكنه ومستقره . قال تعالى :

« فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ

---

( سمكها ) سقفها . ( فسواها ) جعلها مستوية. ( أغطش ) أظلم . ( أخرج ضحاها) أظهر نهارها . ( دحاها ) بسطها . ( الطامة الكبرى ) القيامة .

مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ الدُّنيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَى (٣٩) وأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) » .

ثم أخبر سبحانه أن المشركين كانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الموعد الذي تقوم فيه القيامة وعن تحديد وقتها استهزاء منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يردد ما يقولون ، قالت عائشة رضي الله عنها : لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت هذه الآية ( فيما أنت من ذكراها ) أي لست في شيء من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها ، فمردّ علمها إلى الله وحده ومنتهى خبرها إليه ، إنما مهمتك التخويف والإنذار بأهوالها من بأس الله وعذابه ، وإنما ينفع إنذارك من يخشى ذلك . أما الكافرون فإنهم حين يفاجئون بها ويخرجون من القبور يستقصرون مدة الحياة الدنيا كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى تلك العشية . وقيل كأن لبثهم في القبور كان قدر عشية أو ضحاها . قال تعالى :

---

( برزت ) أظهرت وأبرزت . ( الجحيم ) النار . ( المأوى ) المكان والمستقر .

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَٰهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَىٰهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَىٰهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا (٤٦) » .

---

( أيان مرساها ) متى ظهورها وقيامها . ( منتهاها ) نهاية علمها . ( عشية ) آخر النهار . ( ضحاها ) أول نهارها أي نهار العشية .

# تفسير سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

« عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ ٱلْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ ٱلذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) ».

نزلت هذه الآية في عبد الله بن أم مكتوم ، وكان رجلاً أعمى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منشغل بدعوة صناديد قريش إلى الإسلام وبيان ما أنزل الله عليه من الدين ، وأخذ يقول له : علمني مما علمك الله . وهو لا يعلم أن الرسول مُشتغل بغيره ممن يحرص على هدايتهم من أولئك الصناديد . وأخذ يكرر ابن أم مكتوم قوله ، فعبس له رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وأعرض عنه ، فأنزل الله تعالى : ( عبس وتولى . أن جاءه الأعمى ) أي غيّر وجهه وقطّبه لأن الأعمى أتى إليه فأعرض عنه ولم يلتفت لسؤاله .. ولكن

---

( عبس ) غير ملامح وجهه . ( تولى ) أعرض . ( يزكى ) تحصل له زكاة وطهارة في نفسه .
( يذكر ) يتعظ . ( تصدى ) تتعرض له . ( تلهى ) تتشاغل .

الله التفت إلى رسوله وخاطبه بضمير الحاضر بعد أن كان يتكلم عنه بضمير الغائب مبالغة في العتاب فقال ( وما يدريك لعله يزكى ؟ ) أي شيء يعلمك عن حال هذا الأعمى فلعله يتطهر من الجهل أو من الذنب بما يسمع منك من القرآن والإرشاد ؛ أو لعله يتعظ فتنفعه الموعظة .. ويزكى : أصلها يتزكى قال ابن عباس : أي بما له من المال . ( فأنت له تصدى ) أي تتعرض له وتقبل عليه وتصغي إلى حديثه حرصاً على هدايته وأصلها تتصدى . ( وما عليك ألا يزكى ) أي ليس عليك هدايته إن عليك إلا البلاغ . ( وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى ) أصلها تتلهى أي : الذي جاء مسرعاً ليهتدي بما يتعلمه منك تتشاغل وتعرض عنه ؟ ثم نبه سبحانه الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم العودة إلى ما فعله مع الأعمى بقوله : ( كلا ) وهي كلمة ردع لأن القرآن وما فيه من الموعظة تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر بها أحد على أحد . وقيل ( كلا ) أي حقاً ( إنها ) أي آيات القرآن أو السورة موعظة وتذكير للخلق فمن شاء أن يتعظ بها فليفعل .. وقيل فمن شاء الله له الهداية ألهمه ذلك فتذكر بالقرآن واتعظ بآياته ، والقرآن أودعت آياته ( في صحف مكرمة ) رفيعة القدر مطهرة من الدنس ومن الزيادة والنقص . قيل : المراد بالصحف : المنسوخة من اللوح المحفوظ وهي بأيدي الملائكة وهم السفرة أي الرسل بين الله تعالى والأنبياء بالوحي ، وهم كما وصفهم الله تعالى كرام على الله أو كريمة أخلاقهم ونزيهة فعالهم ، لم يتدنسوا بمعصية .. قال تعالى :

« كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) ».

ثم أخذ سبحانه يذم الكافر المنكر للبعث فقال ( قتل الإنسان ما أكفره ) أي لعن هذا الإنسان ما أشد كفره ! هو دعاء عليه على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ بقولهم : قاتله الله . وهو هنا تقبيح لما عليه هذا الإنسان من الكفر مع إحسان الله إليه وكثرة أياديه عليه ، ولذلك وبخه بقوله ( من أي شيء خلقه ) وهو استفهام معناه التقرير وفيه فسر هذا الخلق بأنه ( من نطفة ) أي من ماء مهين وأنه ( خلقه فقدره ) وجعله أطواراً وأحوالاً : نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى آخر هذه المقدرات حتى يولد ويشب ثم يكذب أو يصدق ، وهذا معنى قوله تعالى ( ثم السبيل يسره ) أي جعله متمكناً من سلوك سبل الخير أو سبل الشر وقيل يسر له الخروج من بطن أمه عند الولادة ، وبعد انقضاء أجله ( أماته ) وجعل له قبراً يوارى فيه ؛ ثم إذا حان وقت القيامة وبُعث الناس من القبور أقامه وبعثه للحساب والجزاء ( كلا لما يقض ما أمره ) . قيل في معنى ( كلا ) أنها كلمة ردع وزجر للإنسان عما هو فيه من التكبر عن التوحيد وإنكار البعث والحساب ، وقيل معناه حقاً إن الإنسان لم يفعل ما أمر به ولم يؤد ما فرض عليه .. قال تعالى :

---

( كلا ) كلمة زجر أي لا تفعل . ( تذكرة ) عظة . ( صحف ) جمع صحيفة وهي ما يكتب فيها . ( مرفوعة ) عالية القدر . ( مطهرة ) بعيدة عن الدنس والزيادة والنقص . ( سفرة ) كتبة وهم الملائكة . ( بررة ) مطيعين .

« قُتِلَ ٱلإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) ».

وبعد أن بيّن سبحانه خلق الإنسان فصّل رزقه الذي يسره له وجعله قواماً لحياته ، وأمره سبحانه بالتدبر في ذلك ليعلم علم اليقين عظمة قدرة الله تعالى ويتأكد أن من قدر على إخراج النبات من الأرض الهامدة قادر على إحياء الأجساد وإخراجها من القبور بعد أن بليت وصارت عظاماً نخرة .. ! أمره سبحانه بالتدبر في ذلك فذكر أنه أنزل الماء من السماء فصبه على الأرض القاحلة ، ثم شقها بالنبات شقاً فأخرج منها جميع ما يقات به الإنسان ، الحبوب على اختلافها ، وأخرج منها العنب قوتاً وفاكهة وأخرج منها القضب ، قيل هو العلف للدواب وقيل هي الرطبة وهي ما يؤكل من النبات غضاً طرياً ، وأخرج منها شجر الزيتون يعصر منه الزيت ، وأخرج منها النخيل فيه الثمرة الطيبة ، وأخرج منها البساتين الجميلة الملتفة الأشجار الغليظة ، وهو معنى قوله تعالى : ( وحدائق غلباً ) وأخرج منها جميع أنواع الفاكهة ، وأخرج منها ( أبّاً ) وهو العشب والحشيش ترعاهما الماشية .. صنع ذلك كله ليتمتع به الإنسان وينتفع به ويطعم دوابه . قال تعالى :

---

« قتل » لعن . « الانسان » المراد به الكافر . « فقدره » قدر رزقه وأجله وشقي أم سعيد . «فأقبره» جعل له قبراً يدفن فيه . « أنشره » بعثه بعد الموت .

« فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَباً وَقَضْباً (٢٨) وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْباً (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) » .

وبعد أن ذكر ما تفضل به على عباده من أمر المعاش عاد يذكر أمر المعاد للتزود له بالأعمال الصالحة ، فذكر من أخباره الصاخة وهي النفخة الثانية تصخ الأسماع من قوتها ورهبتها ، وعندما يسمعها الخلائق يفر المرء من أحب الناس إليه وأقربهم منه : من أخيه وأمه وأبيه ومن ( صاحبته ) وهي زوجته ومن أولاده لأنه مشتغل عنهم بأهوال القيامة وبالحساب والجزاء فلا يفرغ لهم ولا يسأل عنهم ، وفي ذلك ينقسم الناس إلى فريقين : سعداء وأشقياء ، وإلى أهل جنة وأهل نار ، فعلامة أهل الجنة أن تكون وجوههم مشرقة مضيئة فرحة مسرورة بما نالت من الجزاء والكرامة ، وعلامة أهل النار أن يعلو وجوههم السواد والكآبة وتغشاها الظلمة والكسوف لما يشاهدونه من سوء المصير وهم الكفرة المكذبون في الدنيا يتوعدهم الله بهذا المصير والفجرة المفترون على الله . . قال تعالى :

---

« وقضباً » علفاً تأكله الدواب رطباً . « غلباً » غلاظ الأشجار . «وأباً» المرعى للدواب كالحشيش .

« فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢) » .

---

« الصاخة » صيحة القيامة . « شأن يغنيه » يشغله ويصرفه عن شأن غيره . « مسفرة » مضيئة مشرقة . « مستبشرة » فرحة . « ترهقها » تعلوها . « قترة » ظلمة .

# تفسير سورة التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤) » .

هذه جملة أمور ذكرها الله تعالى وأخبر عن وقوعها وهي من أهوال القيامة . فالسماء تكور أي تلف كما تلف العمامة ، يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف ، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها . والنجوم تنكدر أي تتناثر

---

« كورت » لفت مثل تكوير العمامة ، وذهب ضوؤها . « انكدرت » انتثرت وتساقطت . « سيرت » أزيلت عن أماكنها . « العشار » النوق الحوامل . « عطلت » . أهمل أمرها وهي أنفس أموال العرب . « حشرت » جمعت . « سجرت » صارت ناراً تتأجج . « زوجت » جمع كل شكل إلى نظيره . « الموءودة » البنت تدفن حية . « الصحف » صحف الأعمال . « كشطت » أزيلت . « سعرت » أوقدت . « أزلفت » قربت .

من السماء وتسقط على الأرض . والجبـــال تزول عن أماكنها وتنسف ، فإذا الأرض قاعاً صفصفاً ، والعشار تعطل وهي النوق الحوامل التي أتى على حملهـا عشرة أشهر ، وتعطيلها إهمالها من غير رعي مع أنها أنفس مـــال عند العرب يتشاغلون عنها بما رأوا من الأهوال ، ( والوحوش ) وحوش البراري تحشر أي تجمع ليقتص بعضها من بعض . وقيل حشرها موتها . والبحار تسجر أي تسعر وتصير ناراً تتأجج ، وقيل سجرت أي ملئت وفجر بعضها على بعض حتى تعود بحراً واحداً ، والنفوس تزوج أي يجمع كل شكل إلى نظيره ، فالمؤمن مع المؤمن والكافر مع الـكافر ، ويقرن الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ، ويقرن الرجل السوء مع الرجل السوء في النار ، والموءودة تسأل عن الذي وأدها أي دفنها ظلماً وهي حية ، وعن الذنب الذي اقترفته حتى أحل دفنها وهي على قيد الحياة ، وفي سؤالها توبيخ لقاتلها فسوف تجيب بأنها وئدت ظلماً وبغير ذنب ، وصحف الأعمال تنشر للحساب ويقرأ كل امرىء كتابه ويجازى بما سطر فيـه من الأعمال ، والسماء تكشط أي تنزع عن مكانها كما ينزع الغطـــاء عن الشيء وقيل تطوى ، والنـــار تسعر أي توقد ويزداد إحماؤها لتعذيب أعداء الله ، والجنة تقرب لأولياء الله لتنعيمهم فيها . وعندما تحدث هـذه الأمور تعلم كل نفس ما عملته من خير أو شر ، إذ يكون حاضراً وماثلاً أمامها .. قيـل إن ستاً من الأمور المتقدمة تقع في الدنيا كمقدمات للقيامة .. وهي تكوير السماء ، وانكدار النجوم ، وتسيير الجبـــال عن أماكنها ، وتعطيل العشار ، وحشر الوحوش بمعنى موتهـــا ، وتسجير البحار . وإن ستاً تقع في الآخرة .. وهي

تزويج النفوس ، وسؤال الموءودة ونشر صحف الأعمال، وكشط السماء ، وإيقاد النار ، وتقريب الجنة . قال ابن عباس : هي اثنتا عشرة خصلة ست في الدنيا وست في الآخرة .

وبعد أن ذكر طرفاً من أهوال القيامة أقسم سبحانه بأسلوب النفي قائلاً ( لا أقسم بالخنس الجوار الكنس ) وهي النجوم في مطالعها تخنس بالنهار فلا ترى وتكنس بالليل فتأوي إلى مجاريها ، فالخنوس الرجوع إلى الوراء ، بينما يرى النجم في آخر البرج إذ كرّ راجعاً إلى أوله والكنوس الاستتار أي تأوي إلى مكانسها أي مواضعها وتستتر كما تستتر الظباء في المغاور وهي الكناس ، وأقسم سبحانه بالليل إذا عسعس أي أدبر أو أقبل ؛ فلفظة عسعس تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك . وأقسم سبحانه بالصبح إذا تنفس ، أي بالفجر وبضيائه إذا أشرق وارتفع نوره ، أقسم بذلك على أن القرآن تبليغ رسول كريم وهو جبريل نزل به من عند الله ، فالكلام كلام الله وإضافته إلى جبريل على سبيل التبليغ وإنما يضاف الكلام إلى من قاله مبتدئاً ، ووصف جبريل بأنه كريم عند ربه وصاحب قوة ، ولا يضعف ولا يعجز عما يكلف به ، وله مكانة عند الله ومنزلة رفيعة وهو مسموع الكلمة مطاع في الملأ الأعلى تطيعه الملائكة وهو أمين على وحي الله ورسالاته لأنبيائه . . قال تعالى :

« فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ

---

« بالخنس » النجوم تخنس بالنهار : تختفي . « الجوار » السيارة . « الكنس » النجوم حال غيابها .

إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّــهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْــدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) » .

ثم انتقل سبحانه من ذكر أخبار الرسول وأوصافه إلى ذكر المرسل إليه ، وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فأخبر أنه ليس بمجنون كما رمــاه بذلك المشركون وأشار إليه بقوله ( صاحبكم ) أي الذي عاشرتموه وعرفتم كمال عقله، ولقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على خلقته التي خلقه الله عليها في الأفق المبين أي البين بمطلع الشمس جهة المشرق وهي الرؤية التي كانت بالبطحاء، وليس الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على تعليم مــا غاب من أمر الوحي على الناس ( بضنين ) أي ليس ببخيل ، بل يبذل ما أنزل الله عليه لكل أحــد ، وليس القرآن بقول شيطان مرجوم بل نزل به جبريل على الرسول وألقاه على لسانه ( فأين تذهبون ) سدت عليكم السبل ، وانقطعت بكم الحجج ، وأين تذهب عقولكم حين كذبتم بالقرآن وقد ظهر لكم أنه حق من عند الله ؟ وما القرآن إلا عظة يتذكر به من أراد الاستقامة واتباع الحق ، على أن الأمر ليس موكلاً إليكم في الهداية أو الغواية ، بل مشيئتكم مرتبطة بمشيئة الله تعالى رب الخلائق أجمعين ، فمن شاء هدايته وفقه لسلوك طريق الهــداية . والمعنيّ بالخطاب كفار قريش ومن سار على نهجهم في التكذيب والضلال . .

---

( عسعس ) أقبل بظلامه أو أدبر . ( تنفس ) أقبل وامتد ضوؤه . ( ذي قوة ) صاحب قوة . ( مكين ) صاحب مكانة .

قال تعالى :

« وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ».

---

( بضنين ) ببخيل أو متهم في التبليغ . ( رجيم ) مرجوم . ( ذكر للعالمين ) موعظة للناس أجمعين .

# تفسير سورة الانفطار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

« إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنفَطَرَتْ (١) وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) ».

ذكر سبحانه وقوع هذه الأمور بين يدي الساعة وهي من أحوال القيامة كما تقدم في سورة التكوير ؛ فالسماء تنفطر أي تتشقق بأمر الله ، والكواكب تتناثر أي تسقط من مواضعها ، والبحار يفجر بعضها على بعض فتصير بحراً واحداً ويخلط العذب بالملح ، والقبور تبعثر أي تقلب وتبحث ويبعث من فيها من الموتى أحياء . وعندئذ بعد وقوع هذه الأمور تعلم كل نفس ما قدمت من عمل صالح أو سيىء وما أخرته من سنة حسنة سنتها أو وصية أوصت بها ، ثم وجه سبحانه الخطاب بعد ذلك لمنكري البعث ،وقيل لجنس بني آدم فيدخل فيه الكفار وعصاة المؤمنين قائلا : ( يا أيها الإنسان ) أي شيء خدعك وسوّل

---

( انفطرت ) انشقت . ( انتثرت ) تساقطت . ( فجرت ) فجر بعضها في بعض. (بعثرت) هدمت وحفرت وأخرج من فيها من الموتى .

لك الباطل ، فضيعت مـا أوجب الله عليك وأمنت عقابه ، مع كرم ربك عليك حيث أوجدك من العدم ، وسوى خلقك في بطن أمك بأن جعل لـك يدين ورجلين وعينين وسائر الأعضاء ؟ وقيل جعلك مستوي القامة منتصبها وعدّل أعضاءك فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ولا بعض الأعضاء أبيض والآخر أسود ، وركبك في صورة اقتضتها مشيئته من الحسن والقبح والطول والقصر والشبه ، بأن جعلك في شبه الأب أو الأم أو العم أو الخال ، قال تعالى :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ (٦) ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ (٨) » .

ثم وجه سبحانه الخطاب بعد ذلك للكفار المكذبين بالجزاء والحساب ، قائلاً ( كلا ) وهي كلمة ردع وزجر عن الغفلة والاعتزاز بكرم الله وحلمـه ، مخبراً أن الذي حملهم على مواجهة الرب الكريم بالمعاصي هو تكذيب في قلوبهم بالمعاد والجزاء والحساب ، مع أن الله قد جعل عليهم ملائكة يحصون عليهم أعمالهم ويكتبونها لمجازاتهم عليها ، فهم كرام على الله يعلمون ما يفعله العباد من خير أو شر ، قال تعالى :

« كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَٰتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) » .

---

( ما غرك) ما خدعك وجرأك على معصيته . ( فسواك ) جعلك مستوي الخلقة . ( فعدلك ) جعلك معتدلاً متناسب الخلق . ( تكذبون بالدين ) بالجزاء والحساب .

ثم أخبر سبحانه بمآل الخلائق في الآخرة وانقسامهم إلى قسمين حسب استجابتهم لأوامر الله وطاعتهم له أو عصيانه والتكذيب بوعده في الجزاء ، فقال إن الأبرار وهم المطيعون لله الذين يتقون محارم الله يتنعمون في الجنة ، وعلى عكسهم الفجار وهم التاركون لشرع الله ودينه في النار يدخلونها يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة ، فلا يغيب عنهم عذابها ؛ وعظم شأن يوم الدين بالاستفهام عنه وبتكرير الاستفهام مرتين ، وفي هذا التكرار توكيد وتهويل. ثم أوضح سبحانه أنّ يوم الدين هو ذلك اليوم الذي لا يقدر فيه أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه : إلا أن يأذن في الشفاعة لمن يشاء ويرضى ؛ وليس لأحد فيه أمر أو مِلك بل قد استأثر الله بالأمر كله ، قال تعالى :

« إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ ما يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٨) يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) » .

---

( يصلونها ) يقاسون حرها .

# تفسير سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦) » .

التطفيف في اللغة هو البخس والنقص والمراد هنا بخس حقوق النـــاس في المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص منه ، عن ابن عباس قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينـــة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله تعالى ( ويل للمطففين ) وقيل : نزلت في رجل يُعرف بأبي جهينة كان له مكيالان ، يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص . وقد وصف الله تعالى في هذه الآية المطففين وصفاً واضحاً فقال هم الذين إذا اكتالوا على الناس – أي أخذوا منهم الحق – استوفوا الكيل والوزن وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون الكيل

---

( ويل ) هلاك وعذاب . ( للمطففين ) الذين ينقصون الكيل والوزن . ( اكتالوا ) أخذوا حقهم كيلاً . ( يستوفون ) يأخذونه وافياً ( كالوهم ) كالوا لغيرهم . ( يخسرون ) ينقصون الكيل والميزان.

والوزن ، وقد توعدهم الله تعالى بالويل . وقيل في معناه : إنه شدة العذاب في الآخرة . وقيل إنه واد في جهنم .. أنكر عليهم سبحانه صنيعهم وتعجب من جرأتهم وكأنهم لا يستيقنون بأن الله تعالى سوف يبعثهم .. ولا يخافون من القيام بين يديه ولا من حسابهم على تطفيفهم وعلى ما قدّموا من صغير وكبير ، يبعثهم في يوم القيامة : ذلك اليوم الذي يقوم الناس فيه من القبور لجزاء رب العالمين وحسابه .

ثم زجر سبحانه المطففين وردعهم عن التطفيف بقوله ( كلا ) أي ليرتدعوا عما هم فيه من إنقاص الكيل والوزن . ثم أخبر سبحانه أن كتاب أعمال الفجار وهم الكفار وقيل هم المطففون لفي سجّين ، وسجّين مأخوذ من السجن وهو الضيق أي الحبس والتضييق في جهنم ثم عظّم من شأن ذلك بالاستفهام عنه فقال : ( وما أدراك ما سجّين ) ثم بيّنه من بعد كأنه يجيب عما استفهم عنه فقال : ( كتاب مرقوم ) أي مسطور واضح الكتابة .

ثم توعد سبحانه المكذبين بيوم الجزاء ؛ بالويل وهو شدة العذاب في الآخرة ؛ ومعناه الهلاك والدمار وعرض بعد ذلك لأوصاف المكذبين بيوم الجزاء ؛ قائلا : إنه لا يكذب به إلا كل متجاوز للحد ، مرتكب ما حرّم الله عليه : أثيم في أقواله وأفعاله ؛ إذا تلي عليه القرآن وسمعه من رسول كذب به وقال : إن هو إلا أخبار الأولين أخذها الرسول عن غيره وليس هو بكلام الله المنزل على رسوله .. قال تعالى :

« كَلاَّ إنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَـا سِجِّينٌ (٨) كِتَـٰبٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) ».

وزجر سبحانه القائل لهذه المقالة ، بقوله ( كلا ) أي ليس الأمر كما ذكر من أن القرآن أساطير ؛ وإنما الذي جعله يذكر مـــا غلب على قلبه من الذنوب والمعاصي حتى انطمس قلبه ؛ فلم يعد يميز بين الحق والباطل .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل الله قلبه ، فإن زاد زادت حتى تعلو قلبة ، وذاك الران الذي ذكر الله في القرآن .. ثم أوضح سبحانه بعض ألوان ما أعده لهم من العذاب في الآخرة فذكر أن لهم يوم القيامة نزل سجين ؛ ثم هم محجوبون عن رؤية الرب الكريم ، وذلك غاية الحرمان إذ يتمتع برؤية الله في الآخرة عباده المؤمنون فيرون الله كما ورد في الحديث : إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته بعكس الكفار فهم محجوبون

« كلا » ردع لهم عن ما هم عليه . « كتاب الفجار » الكتاب الذي تكتب فيه أعمالهم . « سجين » من السجن وهو الضيـــق أو الحبس والتضييق في جهنم . « مرقوم » مثبتة فيه أعمالهم كالرقم في الثوب . « معتد » متجاوز للحد . « أساطير الأولين » أكاذيبهم المسطرة .

عن رؤيته ، وهذا هو الاعتقاد الصحيح في رؤية الله تعالى في الآخرة وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة . ثم هم مع هذا الحجب والحرمـان من رؤية الله ، يدخلون النار ويصلون عذابها ويقال لهم تقريعاً وتوبيخاً : هذا هو الجزاء الذي كنتم بـه تكذبون رسل الله في الدنيا ، وهذا هو العذاب الذي كنتم تستبعدون وقوعه ، قال تعالى :

« كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) » .

وبعد أن بين سبحانه حـال الكفار وما أُعـد لهم من الهوان والعذاب في الآخرة ، أوضح حال الأبرار فابتدأ القول عنهم بقوله ( كلا ) أي حقاً إن كتاب أعمال الأبرار وهم المطيعون لله المصدقون بوعده في عليين . قيل في معنى عليين : إنه الجنة أي كتاب أعمالهم مرفوع في الجنة على قدر منازلهم ، ثم عظم من شأن ذلك بالاستفهام كما فعل في ( سجين ) قائلاً ( وما أدراك ما عليون ) ثم أجـاب على الاستفهام بقوله ( كتاب مرقوم ) أي مسطور بـين الكتاب . وكتاب الأبرار الموضوع في عليين تحضره الملائكة المقربون عند الله إذا صُعد به إلى عليين .. روي في الأثر : إن الملائكة تصعد بصحيفة فيها أعمال العبد فإن رضي الله عنه قال اجعلوه في عليين . وإن لم يرض قـال اجعلوه في سجين ..

---

« ران على قلوبهم » أصل الرين الغلبـة ، غلب على قلوبهم آثار الذنوب فسودتها . « لصالوا الجحيم » النار يقاسون حرها .

قال تعالى :

« كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢١) » .

ثم أخذ سبحانه يفصل فيما أعده للأبرار من النعيم والكرامة فقال : إنهم في الجنان ينعمون نعيماً مقيماً لم تر مثله عين ، فهم على الأرائك ، وهي الأسرة الفخمة ذات الزخارف في الغرف الأنيقة ذات الستائر ، ينظرون إلى وجه ربهم الكريم وتلك أعظم مثوبة وأحبها إلى قلب المؤمن . وينظرون إلى ما هم فيه من النعيم المقيم .. وينظرون إلى أعدائهم وما هم فيه من العذاب الأليم ، في وسط الجحيم .. هؤلاء الأبرار إذا نظرت إليهم عرفت في وجوههم أثر النعمة والبهجة بها ، فهم يسقون من خمر صافية لا مثيل لها ، ختمت فلم تمسها يد قبل أيديهم .. وقال ابن مسعود : ( مختوم ) أي ممزوج ( ختامه ) أي آخر طعمه ( مسك ) ، وفي مثل هذا الثواب والجزاء ( فليتنافس المتنافسون ) وليستبق المستبقون : يعملون الصالحات فيدخلون الجنات لينالوا هذا الثواب ثم عاد إلى الخمر المسماة بالرحيق فقال أنه يمزج من تسنيم ، ثم فسر هذا الاسم فقال ( عيناً يشرب بها المقربون ) وهي أشرف شراب في الجنة تنصب على المقربين فيمزجون بها الخمر أو يشربون من غير مزج .. قال تعالى :

---

« كتاب الأبرار » كتاب أعمالهم . « لفي عليين » في موضع عال في الجنة . « يشهده المقربون » يحضره الملائكة إذا صعد به إلى عليين .

« إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٨) » .

وبعد أن أخبر سبحانه بما أعده للمؤمنين من النعيم والكرامة ، وما أعده للفجار من العذاب ، عرض لحالة الكفار في الدنيا مع المؤمنين ، ثم أوضح ما سيقابل به المؤمنون ذلك في الآخرة فقال : إن المجرمين أي الكفار كانوا يضحكون من المؤمنين سخرية واستهزاء بهم ، وإذا مر بهم المؤمنون يتغامزون عليهم بأعينهم ويشيرون بها استهزاء وتهكماً بهم ، وإذا رجع هؤلاء المجرمون إلى أهلهم رجعوا يتفكهون بذكر المؤمنين مستخفين بما هم فيه ، وإذا رأى المشركون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبوهم إلى الضلال ومجانبة الطريق السوي لأنهم على غير دينهم ، مع أنهم لم يوكلوا بحفظ أعمالهم حتى يرسلوا ليحصوا على المؤمنين ما يصدر منهم ؛ ففي يوم القيامة يقتص الله للمؤمنين من الكافرين ، فالكفار يعذبون في النار والمؤمنون ينعمون في الجنان ، وهم على الأرائك ينظرون إلى الكفار يعذبون فيضحكون منهم كما سبق أن

---

« الأرائك » الأسرة المنصوبة . « نضرة النعيم » بهجته. « رحيق » الرحيق من أسماء الخمر . « مختوم » أي لم تمسه يد إلى أن يفك ختمه شاربه . « مزاجه » ما يمزج به . « من تسنيم » من شراب يقال له تسنيم وهي عين في الجنة .

ضحك الكفار من المؤمنين في الدنيا ! فهل جوزي الكفار بهذا الصنيع على ما كانوا يفعلونه في الدنيا بالمؤمنين من الاستهزاء والتنقيص والضحك ؟ الجواب : نعم ! جوزوا أتم الجزاء وأكمله، والاستفهام هنا للتقرير، وثُوِّب معناها جوزي، قال تعالى :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا ٱنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ ٱنْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ (٣٣) فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى ٱلْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) » .

---

« فكهين » متفكهين لاستهزائهم بالمؤمنين . « ثوّب الكفار » جوزوا على أعمالهم .

# تفسير سورة الانشقاق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

« إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ (١) وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ (٢) وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ (٣) وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ (٤) وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ (٥) ».

انشقت السماء انصدعت وتفطرت . قيل ذلك من أشراط الساعة وعلاماتها، ومعنى أذنت لربها استمعت لأمر ربها بالانشقاق وأطاعته ، وحق لها أن تسمع وتطيع أمر ربها ، فهو العظيم الذي أذل كل شيء لأمره ، وامتداد الأرض تسويتها والزيادة في سعتها وزوال ما عليها من الجبال حتى تصير مستوية ، ومعنى ( ألقت ما فيها وتخلت ) ألقت ما في بطنها من الأموات للحشر وتخلت عنهم.. ثم وجه سبحانه الخطاب إلى جنس الإنسان قائلاً : ( يا أيها الإنسان إنك كادح ) أي مجد ومجتهد وساع إلى ربك إلى أن ينتهي أجلك ، ثم إنك ستلقى ما عملت في حياتك من خير أو شر وتجازى عليه .. فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه فسوف يكون حسابه سهلاً ، لا تعسير فيه ، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يدني العبد يوم القيامة حتى يضع كتفه

---

« أذنت » استمعت لأمر ربها في الانشقاق . « حقت » حق لها أن تسمع وتطيع. « مدت » زيد في سعتها . « تخلت » خلت مما في بطنها .

عليه فيقول فعلت كذا وكذا ويعدد عليه ذنوبه ، ثم يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، ويرجع إلى أهله في الجنة مسروراً بما أعطاه الله! ( وأهله ) زوجاته في الجنة من نساء الدنيا ومن الحور العين ، وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره بعد أن تلوى — وهو الكافر — فسوف يدعو على نفسه بالويل والخسارة والهلاك ويقول : يا ويلاه ! يا ثبوراه ! وسوف يدخل النار حتى يصلى بحرها ، لأنه كان في أهله في الدنيا مسروراً فرحاً لا يفكر في العواقب .. فأعقب ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل ، وكان يعتقد أنه ( لن يحور ) أي لن يرجع إلى الله حياً بعد أن مات ، فهو ممن يكذب بالبعث . ورد الله تعالى على هذا الاعتقاد بقوله ( بلى ) إنه سوف يُبعث ويعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله فإنه كان به خبيراً وبأعماله بصيراً ..! قال تعالى :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا (١٥) » .

---

« كادح » ساع . « ينقلب » يرجع . « يدعو ثبوراً » ينادي على نفسه بالهلاك . « يحور » يرجع .

ثم أقسم سبحانه بالشفق وهو ما يكون بعد غروب الشمس من احمرار الجو، وأقسم بالليل وما وسق أي وما جمعه الليل وضمه مما كان منتشراً بالنهار، وذلك أن الليل إذا أقبل يضم الأشياء ويسترها بظلامه . كما أقسم بالقمر إذا اتسق أي تكامل نوره، وهو في الأيام البيض .. أقسم الله سبحانه بكل ذلك وهو يخاطبنا بقوله : ( لتركبن طبقاً عن طبق ) أي لتتحولن من حال إلى حال، وقيل في تفسير هذه الأحوال إنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء؛ وقيل إنها التحول في الدنيا من الرضاعة إلى الفطام .. ومن الشباب إلى الشيخوخة .. ومن الشيخوخة إلى الموت. وعاد سبحانه يذكر الكفار ويتعجب من عدم إيمانهم ويستفهم استفهام المنكر عليهم ذلك بقوله : ( فما لهم لا يؤمنون وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون ) إعظاماً للقرآن وإجلالاً له . وقيل في معنى يسجدون يصلون، وعبر عن الصلاة بالسجود لأنه جزء منها، ثم أردف سبحانه الاستفهام ببيان أن من سجية الكفار المخالفة للحق والعناد فيه مهما ظهرت لهم الدلائل . وهو سبحانه أعلم بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب ! يقال أوعيتُ المال إذا جمعته، ثم أمر الله رسوله الله صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم بعذاب مؤلم أعدّه الله لهم على كفرهم وتكذيبهم، وأنزل هذا الإخبار منزلة البشارة تهكماً بهم . واستثنى ( الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) آمنوا بقلوبهم وعملوا الأعمال الصالحة بجوارحهم ( لهم أجر غير ممنون ) غير منقوص وغير مقطوع .. قال تعالى :

« فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَٱللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥) » .

---

« بالشفق » الحمرة في الأفق . « وسق » جمع . « اتسق » استوى وتكامل . « طبقاً عن طبق » حالاً بعد حال . « يوعون » يكتمون في صدورهم . « غير ممنون » غير مقطوع .

# تفسير سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ (١) وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ (٤) ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) » .

يقسم الله تعالى بالسماء ( ذات البروج ) أي ذات المنازل التي تنتقل بها الكواكب لما فيها من بديع صنعه وعجيب تدبيره ..! وأقسم أيضاً باليوم الموعود وهو يوم القيامة .. وعد الله أهل السماء والأرض بالاجتماع فيه ، وأقسم بالشاهد وهو يوم الجمعة والمشهود وهو يوم عرفة عند أكثر المفسرين ، وإنما كان القسم بهذه الأيام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها ، وجواب القسم ( قتل أصحاب الأخدود ) تقديره لقد قتل أصحاب الأخدود .. وقيل جوابه محذوف تقديره : لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود .. وذلك أن قريشاً كانت تعذب من أسلم من بينهم ليرجعوا عن الإسلام .! فذكر الله قصة أصحاب

---

« البروج » منازل الكواكب . « اليوم الموعود » يوم القيامة . « وشاهد ومشهود » الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة . « قتل » لعن . « الأخدود » الحفرة المستطيلة في الأرض . « شهود » حضور .

الأخدود وعيداً لهم وتعزية للمعذبين ! والأخدود هو الشق في الأرض جمعه أخاديد ، وقصة أصحاب الأخدود تناقلها المفسرون في صور وأقوال مختلفة ، وأجمل القول فيها ابن كثير رحمه الله فقال عند تفسيرها : هذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم على أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً — أي حفرة مستطيلة — وأججوا فيه ناراً وأعدوا له وقوداً، ثم أرادوهم على الكفر فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها .. انتهى ما أجمله ابن كثير وبهذا العمل لعنهم الله . قال ابن عباس : كل شيء في القرآن ( قتل ) فهو لعن و ( شهود ) حضور كانوا يجلسون على حافة الأخدود والنار متأججة فيه يقدمون كل من يرجع عن دينه ويرونه وهو يشوى بالنار ويتعذب .

ولم يكن ما أنكره أصحاب الأخدود على هؤلاء المؤمنين إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ به ، المحمود في جميع أقواله وأفعاله وشرعه ، من له السموات والأرض وما بينهما ملك لا ينازعه أو يشاركه فيها أحد وهو عالم بأعمال خلقه لا تخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه شيء سبحانه ، قال تعالى :

« وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) » .

ثم أخبر سبحانه أن هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين أي عذبوهم

---

( وما نقموا منهم ) وما كرهوا منهم .

وأحرقوهم إذا ماتوا على كفرهم ولم تصدر منهم توبة قبـل موتهم أعدّ لهم في الآخرة عذاب النـار يحرقهم بها كما أحرقوا المؤمنين وقيل : لهم في الآخرة عذاب النار ولهم في الدنيا عذاب الإحراق ، فقد روي : أن النار التي أحرقوا بها المؤمنين خرجت عليهم وهم قعود على جانب الأخدود فأحرقتهم ، قال تعالى :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ (١٠) » .

ثم أخبر سبحانه بما أعدّه في الآخرة للمؤمنين من النعيم المقيم ، وقيل المراد بالمؤمنين هؤلاء الذين أحرقهم الكفار أصحاب الأخدود، وقيل هي عامة لجميع المؤمنين،فإن الله تعالى أعدّ لكل من صدّق بقلبه وعمل بجوارحه أعمالاً صالحة، أعدّ له في الآخرة بساتين عظيمة تجري من تحتها الأنهار بالماء واللبن الذي لم يتغير طعمه وبالخمر والعسل ..! وهذا النعيم وتلك الكرامة ، فوز لا يشبهه فوز، فهو أعظم مما يتصوره المتصورون .. قال تعالى :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَاتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ (١١) » .

ثم أخبر سبحانه عن عظيم بأسه وقدرته فقال : ( إن بطش ربك ) أي أخذه للظلمة وانتقامه منهم ( لشديد إنه هو يبدىء ويعيد ) : يخلقهم

---

( فتنوا ) عذبوا .

في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت للحساب والجزاء ! وهو سبحانه الكثير الستر لذنوب عباده المؤمنين المحب لأوليائه المتودّد إليهم بالمغفرة وهو صاحب العرش العظيم العالي على كل الخلائق ؛ ففي ذلك إثبات صفة العلو للباري جل وعلا . فالعرش أعلى المخلوقات وهو سبحانه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته وهو سبحانه المجيد ، على قراءة الرفع أي العظيم الكرم والفضل . وهو سبحانه الفعّال لما يريده لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه شيء طلبه . وعلى قراءة ( المجيد ) بالجر تكون صفة للعرش .. قال تعالى :

« إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ (١٤) ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) » .

ولتقرير شدة بطشه سبحانه بالظالمين وجه الخطاب لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم يسليه بذلك عن تكذيب قومه قائلاً قد أتاك خبر الجموع المكذبة لأنبيائها ثم بينهم بقوله : ( فرعون وثمود ) وما حل بهم من عذاب الله ونقمته .. قيل إنه خص فرعون وثمود بالذكر لأن ثمود في بلاد العرب وقصتهم مشهورة عند مشركي مكة ، وأمر فرعون كان مشهوراً عند أهل الكتاب وغيرهم ، فدلّ بهلاكهم على هلاك أمثالهم من المكذبين ومنهم هؤلاء المكذبون لرسول الله الذين لم يؤمنوا بما جاء به من القرآن فهم في عناد وكفر وشك وريب .. والله محيط

---

( بطش ربك ) أخذه الكفار .

بما يعملونه وقادر على إهلاكهم كما أهلك الأمم المكذبة قبلهم ..! وهذا الذي كذبوا به ، ليس كما يزعمونه سحراً وكهانة، أو حديثاً مفترى وأساطير الأولين ، إنما هو ( قرآن مجيد ) متناه في الشرف مكتوب في ( لوح محفوظ ) عند الله من وصول الشياطين إليه .. واللوح المحفوظ أخبرنا الله به وأخبرنا أنه أودعه كتابه فعلينا أن نؤمن بذلك وليس علينا أن نبحث فيما وراءه ، وقد ورد في أخبار كثيرة وروايات الله أعلم بها . قال تعالى :

« هَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) » .

( مجيد) كريم .

# تفسير سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« وَٱلسَّماءِ وَٱلطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلطَّارِقُ (٢) ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) » .

أقسم الله بالسماء وأقسم بالطارق وفسره بأنه النجم الثاقب ، والثاقب هو المنير كأنه يثقب الظلام فينفذ فيه أو يثقب الشياطين إذا أرسل عليها . وهذا النجم هو الشهاب الذي يُرجم به . والمراد هنا جنس النجوم أي جنس الشهب لا واحد بعينه . وإنما سمى النجم طارقاً ، لأنه يبدو في الليل ، كما يقال لمن يأتي إلى الناس ليلاً : طارق ؛ إذن فقد أقسم سبحانه بكل سماء وبكل نجم أنه ( كل نفس عليها حافظ ) أي من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر ، قال ابن عباس : هم الحفظة من الملائكة ؛ وقيل : كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ، وهذه الآية هي جواب القسم أي الشيء الذي أقسم من أجله ليؤكده ، ثم نبه سبحانه الإنسان وأرشده للتدبر في أصل خلقه حتى يعلم أن من أنشأهُ قادر على إعادته ومجازاته ، ونبهه أيضاً أن من كان عليه حفظة يحفظون عليه أعماله فجدير به أن لا يملي على حافظه إلا ما يسره

---

( الطارق ) ما جاء ليلاً والمراد به النجم . ( الثاقب ) المنير .

في عاقبته ، وأوضح سبحانه أن الإنسان مخلوق من مـــاء وهو المني الضعيف المتدفق في الرحم الخارج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ، وهي عظـــام الصدر والنحر من موضع القلادة، ثم أخبر سبحانه أنه قادر على إرجاع الإنسان حيّاً بعد الموت وذلك هو البعث ، ومعروف بالبداهة أن من قدر على الإنشاء من هذا الأصل الضعيف قدر على الإعادة والإرجاع إلى الحياة في يوم القيامـة ، وهو اليوم الذي تمتحن فيه السرائر وتظهر خفايا الصدور ومكنونات الأنفس ! في ذلك اليوم العظيم ليس للإنسان من ناصر ينصره وليست لديه قوة يمتنع بها من عذاب الله .. قال تعالى :

« فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَـــاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) ».

ثم أقسم الله مرة أخرى بالسماء ( ذات الرجع ) أي ذات المطر لأنه يرجع ويتكرر ، وأقسم بالأرض ( ذات الصدع ) أي ذات الانشقاق عن النبـــات والأشجار والأنهار ، أن القرآن كلام فصل : يفصل به بين الحق والباطل وليس باللعب ولا بالباطل .. وقال عن الكفار : ( إنهم يكيدون كيداً ) لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويدبرون عليه لإحباط أمره .. وأنه سبحانه يكيد لهم أي يستدرجهم من حيث لا يعلمون حتى يحبط عملهم ويهلكهم ! ثم أمر الله الرسول

---

( ماء دافق ) أي مدفوق بمعنى مصبوب . ( الصلب ) عظام الظهر . ( الترائب ) عظام الصدر . ( تبلى السرائر ) تختبر السرائر وتظهر .

صلى الله عليه وسلم أن لا يعجل بالدعاء عليهم طلب هلاكهم ، بل يمهلهم إمهالاً قليلاً ، فسوف يحل بهم العذاب ، قال ابن عباس : هذا وعيد من الله عز وجل للكافرين ، قال تعالى :

« وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ (١١) وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧) » .

---

( الرجع ) المطر . ( الصدع ) الشق والمراد الأرض التي تنصدع عن النبـات . ( فصل ) حق وجد يفصل بين الحق والباطل . ( يكيدون كيداً ) يخاتلون النبي صلى الله عليـه وسلم ويمكرون به . ( وأكيد كيداً ) كيد الله استدراجه إياهم . ( فمهل الكافرون ) فتأن عليهم . ( أمهلهم رويداً ) أنظرهم قليلا ولا تعجل .

# تفسير سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) ».

أمر سبحانه رسوله أن يقول سبحان ربي الأعلى وإلى هذا التفسير ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، ويدل عليه ما روي عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبّح اسم ربك الأعلى فقال : سبحانه ربي الأعلى ، وقيل أيضاً في معناها : نزّه ربك الأعلى عما يصفه به الملحدون . ثم وصف نفسه بأنه خلق الخلائق وسوّى كل مخلوق في أحسن هيئة ومن مخلوقاته الإنسان جعله مستوياً وعدل قامته ، وهو سبحانه ( الذي قدّر فهدى ) أي قدّر الخير والشر وقدّر السعادة لأقوام .. والشقاء لآخرين . ثم هدى كل فريق من الطائفتين إلى ما قدّر له أو عليه .. وقيل قدّر الأقوات والأرزاق وهدى الناس لمعاشهم وطرق اكتسابهم ، وهدى الأنعام لمراعيها ، وهو سبحانه ( الذي أخرج المرعى ) أي أنبت العشب

---

( فسوى ) سوّى كل مخلوق في أحسن هيئة . ( فهدى ) أرشد الناس لمعاشهم وأرشد الأنعام لمراعيها . ( المراعي ) العشب وما ترعاه الأنعام من كل أنواعه . ( غثاء ) هشيماً كغثاء السيل . ( أحوى ) أسود بعد الخضرة .

وما ترعاه الأنعام ألواناً بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وجعله بعد الخضرة والانتعاش ( غثاء ) أي ذابلا ومتهالكاً ( أحوى ) صفة لغثاء أي أسود ، وذلك أن العشب إذا ذبل وتكسر اسودّ ، ثم وجّه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً : إنه سوف يقرئه قراءة لا ينساها ، وتلك معجزة له صلى الله عليه وسلم فقد كان أمياً لا يكتب ومع ذلك كان لا ينسى ما يقرئه له جبريل من القرآن لوعد الله بعدم النسيان ، إلا ما شاء الله أن ينساه مما نسخت تلاوته من القرآن فلا عليه إلا أن ينساه ويتركه ، وهو سبحانه يعلم السر والعلانية ، يعلم ما يسر العباد وما يجهرون به من أقوالهم وأفعالهم ، وقيل يعلم جهر الرسول صلى الله عليه وسلم بالقراءة مع جبريل وإسراره فيها خشية النسيان ؛ وهو سبحانه ييسر الرسول صلى الله عليه وسلم أي يوفقه ويشرّع له الشريعة اليسرى أي السهلة السمحة ، وأمره سبحانه بالتذكير والموعظة بالقرآن في المواضع التي تنفع فيها الذكرى . قيل أمره بأن يذكر ويعظ قياماً بواجب التبليغ ، نفعت الذكرى أو لم تنفع — وإنما ينتفع بالموعظة من يخشى قلبه الله ، ويبتعد عنها الشقي الذي يدخل النار الكبرى فيصطلي بحرها وعذابها : قيل سماها كبرى بالنظر لنار الدنيا يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم : ناركم هذه التي توقدون : جزء من سبعين جزء من نار جهنم ؛ فإذا دخل هذا الشقي النار فهو مضطرب مبلبل حيث لا يموت فيستريح من عناء العذاب ، ولا يحيا حياة طيبة تنفعه . قال تعالى :

« سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى (٦) إِلَّا ما شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى (٩)

---

( نيسرك ) نوفقك . ( لليسرى ) للشريعة السمحة . ( الذكرى ) الموعظة .

سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى (١٣) » .

ثم أعقب ذلك بذكر الفوز لمن تطهر من الشرك والذنوب وأدام الذكر لربه وداوم على أداء الصلوات المكتوبة ، ابتغاء رضوان الله وامتثالاً لأمره، وحافظ عليها في أوقاتها . قال تعالى :

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) » .

ثم ذكر سبحانه أن من طبع النفوس تقديم العاجل على الآجل مع ما في الآجل من الخير والفلاح ؛ والمراد بالعاجل الدنيا ، وبالآجل الاخرة ، وإيثار الدنيا على الآخرة وتقديمها عليها خطأ واضح ، وذكر بعد ذلك سبحانه أن فلاح المتزكي والمصلي وإيثار الخلق دنياهم على آخرتهم مع أنّ الآخرة خير لهم وأبقى ، كل ذلك مذكور في كتب الأنبياء المتقدمين وهي المعنية بقوله : ( صحف إبراهيم وموسى ) وقيل بل كان ما تضمنته هذه السورة أو كل ما تضمنه القرآن من الدين مذكور في الكتب المتقدّمة فدين الله واحد؛ وكل الشرائع تدعو إليه وإن اختلفت الوسائل والصور . قال تعالى :

« بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا (١٦) وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَـٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩) » .

# تفسير سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

« هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) ».

يخاطب الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم قائلا : قد أتاك حديث الغاشية وهي القيامة سميت بذلك لأنها تغشى كل شيء بأهوالها في ذلك اليوم تكون بعض الوجوه ذليلة لما اعترى أصحابها من الخزي والهوان ، وهي وجوه الكفار ( عاملة ناصبة ) قال ابن عباس : هم الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب وغيرهم لا يقبل الله منهم اجتهاداً ، يدخلون النار يوم القيامة . والنصب هو الدّأب في العمل والتعب ، وقيل عاملة في الدنيا بالمعاصي

---

( هل ) قد . ( الغاشية ) القيامة . ( خاشعة ) ذليلة . ( عاملة ) عملت في الدنيا بالمعاصي. ( ناصبة ) متعبة في النار بالعذاب . ( تصلى ناراً ) تعذب فى النار . ( آنية ) متناهية الحرارة . ( ضريع ) طعام كالشوك اليابس .

ناصبة في الآخرة في النار ، أصحاب هذه الوجوه سواء كانوا الكفار أو أصحاب المعاصي يصطلون بنار حارة أشد ما تكون في الحرارة ويشربون من عين متناهية في الحرارة ، أما طعامهم فليس لهم في جهنم غير الضريع وهو شجر الشوك من شر الطعام وأبشعه قد انتفت منه منفعة الطعام فلا هو بالذي يفيد الجسم ولا بالذي يدفع الجوع ؛ وبعد أن ذكر سبحانه حال الكفار وحياتهم في الجحيم ذكر المؤمنين وحالهم في النعيم فقال : إنهم في حالة من النعيم يبدو أثرها عليهم ، وذلك يوم القيامة حين يدخلون الجنة راضين فيها بالنعيم الذي حصلوا عليه ؛ ثم أخذ يفصل في ألوان النعيم فذكر أنهم في جنان رفيعة عالية القدر لا يسمع فيها كلمة لغو ولا باطل ؛ بل فيها العيون الجارية المتدفقة في غير أخدود ، وفيها السرر العالية الناعمة كثيرة الفرش ، وفيها أواني الشراب معدّة لمن أرادها من الشاربين ، وفيها الوسائد مصفوفة بعضها إلى جانب بعض وهي النمارق — وفيها البسط العراض الفاخرة مبسوطة ومتفرقة في المجالس لكثرتها ووفرتها وهي الزرابي . ولما ذكر سبحانه أهل الجنة ونعيمها وحال أهل النار وعذابها ، عجب الكفار وكذبوا وأنكروا أن يكون شيء من ذلك ، فذكرهم الله بصنعه في أنفس أموالهم وهي الإبل قائلا ( أفلا ينظرون ) إلى هذا المخلوق العجيب في تركيبه ، وشدّة قوته وحمله الأثقال ، وانقياده للقائد الضعيف ، فإن من صنع هذا في الدنيا هو الذي صنع لأهل الجنة ما صنع من النعيم ووسائل الترفيه ، ثم ألا ينظرون إلى السماء كيف رفعها الله رفعاً بعيد المدى بلا ركيزة ترتكز عليها ومن غير أعمدة ، ثم ألا ينظرون إلى الجبال كيف جعلها منصوبة على الأرض لا تزول ولئلا

تميد الأرض ، ثم ألا ينظرون إلى الأرض كيف مهدت بحيث يستقر عليها كل شيء ، فنبه العرب بهذه المشاهدات التي تقع تحت حواسهم : الإبل التي يركبونها ، والسماء التي فوق رؤوسهم ، والجبال المنصوبة أمامهم ، والأرض التي يطأونها بأقدامهم ، نبههم أن لهذه الأشياء خالقاً هو الله سبحانه ، وهو الذي لا يستحق العبادة غيره . قال تعالى :

« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) » .

ولما ذكر لهم سبحانه هذه الأدلة الواضحة على توحيده ولم يتعظوا ولم يتفكروا ، وجه الخطاب لنبيّه قائلاً : ذكّر الناس وعظهم بما أرسلت به فلست عليهم بجبار ، وليس بيدك خلق الإيمان في قلوبهم أو إكراههم عليه ، لكن من أعرض عن العمل بما أرسلت به وكفر بالحق فلم يصدق به بعد التذكر ، فإن لله الولاية عليه فهو يعذبه العذاب الأكبر في جهنم ،

---

( ناعمة ) يعرف النعيم فيها . ( لاغية ) لغو . ( نمارق ) وسائد . ( زرابي ) بسط . ( مبثوثة ) مفرقة .

فرجوعهم إلى الله بعد الموت ، وعليه جزاؤهم ، قال تعالى :

« فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦) » .

---

( بمسيطر ) بجبار . ( إيابهم ) رجوعهم إلى الحياة .

# تفسير سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) » .

يقسم الله سبحانه بالفجر وهو انفجار الصبح كل يوم . وقيل المراد به فجر النحر خاصة . ويقسم بالليالي العشر .. وفي تفسيرها أقوال متعددة للمفسرين إلا أن أكثرية الأقوال أنها عشر ذي الحجة ، ويقسم بالشفع والوتر ، فالشفع النحر ، والوتر يوم عرفة . الشفع يوم النحر لأنه العاشر ؛ والوتر يوم عرفة لأنه التاسع . وفي تفسير الشفع والوتر أقوال متعددة أيضاً . ويقسم بالليل إذا يسر ، أي سار وذهب .. ثم عقّب على هذه الأقسام بقوله هل في هذه الأقسام التي أقسمت بها قسم مقنع يَكتفي به في القسم أصحاب العقول .. فالحجر هو العقل،ثم أخذ يخوف المشركين من أهل مكة بذكر قصة عاد إرم . وهي عادٍ الأولى التي أهلكها الله لما خالفوا رسولهم هوداً وقد كانوا أطول

---

( وليال عشر) هي الليالي العشر الأولى من ذي الحجة . ( والشفع ) هو يوم النحر ( والوتر) يوم عرفة . ( يسر ) يذهب . ( حجر ) عقل .

أعماراً وأشد قوة من كفار مكة، ووجه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عام قائلا : ألم تعلم أيها الرسول ، أو الإنسان لعموم الخطاب ، كيف أهلك ربك أي خالقك ومالك أمرك عاداً الأولى وهم ولد عـــاد بن إرم لما كذبوا الرسول هوداً أنجـــاه الله ومن آمن معه منهم ، وأهلك المكذبين بريح صرصر عاتية ، وذكر الله قصتهم في القرآن ليعتبر بمصيرهم المؤمنون ، وقوله تعالى (ذات العماد) لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشّعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقيل سميت عاد : ذات العماد لطول قاماتهم ، ولم يخلق الله مثل هذه القبيلة في زمنهم في القوة والطول وشدة البأس . وفعل بثمود ، وهم قوم نبي الله صالح كما فعل بعاد من الإهلاك ، وصفهم الله بأنهم كانوا يقطعون الصخر بوادي القرى وينحتون منه بيوتهم ، وكما فعل بعاد وثمود فعل بفرعون حيث أهلكه الله بالغرق لمـــا عصى رسول الله موسى . وصفه الله تعالى بأنه ذو الأوتاد ، وقيل في تفسير الأوتاد إنها الجنود تشد ملكه وتحكم أمره ، وقيل إنها أوتاد حقيقية كان يعذب الناس بها ؛ ثم أخبر عن عاد وثمود وفرعون أنهم طغوا في الأرض وتجاوزوا القـــدر في الظلم والعدوان وأكثروا الأذى والجور وعاثوا في الأرض بالإفساد . والفساد ضد الصلاح يشمل جميع أنواع الإثم فعاقبهم الله وانتقم منهم أجمعين ، وأنزل عليهم نصيباً من العذاب . وتوعـــد سبحانه الكفار وكل من يخالف أمره ويرتكب نهيه بأنه له بالمرصاد . يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلاً بعمله وسعيه يوم تعرض عليـه الخلائق فيحـكم فيهم بعدله .. قال تعالى :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) » .

وإن من كان له ربه بالمرصاد كان من الواجب عليه أن يسعى لما يُسعده في عاقبة أمره ولا يكترث بعاجلته ، ولكن الإنسان قد استهوته العاجلة فعكس الأمر ، فاهتم بالدنيا وبحظوظه منها ، فإذا امتحنه الله بالنعمة وسعة الرزق وأكرمه بالمال ليشكر النعمة ، قال ربي فضلني وأكرمني ، وإذا ابتلاه بالفقر وتضييق الرزق عليه ليصبر فيؤجر قال ربي أهانني وأذلني ، فردّ الله عليه هذا الزعم بقوله ( كلا ) أي ليس الإكرام والإهانة في كثرة المال وقلته ، وسعة الرزق وضيقه ، وإنما الإكرام في توفيق العبد لطاعة ربه ، والإهانة في خذلانه والتخلي عنه ، كان هذا في معرض ذم الله لأقوال الإنسان، ثم عقب عليه

---

( بعاد ) قوم هود . ( إرم ) أي عاد بن إرم . ( ذات العماد ) صاحبة البيوت التي كانت ترتفع بالأعمدة . ( جابوا ) قطعوا . ( ذي الأوتاد ) صاحب الأوتاد ، والأوتاد الجنود يشدون ملكه أو يعذب الناس بالأوتاد . ( سوط عذاب ) نهاية العذاب . ( لبالمرصاد ) يرقب أعمال العباد ويجازيهم .

بذم أفعاله مخاطباً له ، قائلاً لكل من يصنع هـذا الصنيع المذموم ، ( كلا ) إن لـكم أفعالاً هي شر من أقوالـكم : إنـكم إن أُكرمتم بالغنى لا تؤدون فيه الحقوق الواجبة من إكرام اليتيم والإحسان إليه . ولا يحض بعضكم بعضاً على إطعام المسكين . وقد ذهبتم إلى أبعد من ذلك في حب المـــال حيث تجمعونه من حلال وحرام ، فتأكلون نصيب النساء والأطفـــال من الميراث — وكانوا لا يورثون النساء والصبيان — وتجمعونه إلى نصيبكم ، وتحبون جمع المـــال من أي وجه حباً شديداً حتى لو كان بحرمان أصحاب الحقوق حقوقهم .. قال تعالى :

« فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَـٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَـٰنَنِ (١٦) كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَـــامِ ٱلْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) ».

وبعد أن ذم سبحانه ما تقدم من أقوال الإنسان وأفعـاله أورد شيئاً من أهوال يوم القيامة . وأعقبهـا بتحسر الإنسان المفرط في دنيـــاه حين

---

( قدر عليه رزقه ) ضيقه . ( التراث ) الميراث . ( أكلا لمًّا ) شديداً حيث يأكل نصيبه إلى نصيب غيره . ( جماً ) كثيراً .

يشاهد الأهوال ؛ فذكر سبحانه أن الأرض تدك « دكاً دكاً » أي مرة بعد أخرى ، ويكسر كل شيء عليها من جبال وبناء وشجر ، ويجيء الله لفصل القضاء بين عباده ، مجيئاً يليق بجلاله وعظمته ، وقد أثبت أهل السنة هذه الصفة لله على ما يليق بجلاله دون التعرض لتأويلها أو تشبيهها أو تكييفها ، وتجيء الملائكة صفوفاً بين يديه سبحانه ويؤتى بجهنم كما جاء في الحديث عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ، عندئذ وفي ذلك اليوم يتذكر الإنسان تفريطه وما قدمه من عمله في الدنيا ، ويتعظ الكافر ويتوب ، ولكن هيهات ، وكيف تنفعه التذكرة ، ومن أين له التوبة.. فيندم على ما كان منه من المعاصي إن كان عاصياً ، ويتمنى لو قدم في دنياه الخير والعمل الصالح لآخرته ولحياته الدائمة . وفي ذلك اليوم ليس أحد أشدّ عذاباً من تعذيب الله لمن عصاه . وليس أحد أشدّ وثاقاً من الله لمن كفر به ، والوثاق هو الأسر في السلاسل والأغلال أي لا يبلغ أحد من الخلق ما يبلغه الله في العذاب لمن كفر به وعصاه ، وهذا العذاب والوثاق للمجرمين والظالمين ؛ أما النفس المطمئنة وهي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة ، فيقال لها : يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى جوار ربك وثوابه وما أعده لعباده في جنته راضية في نفسك بالثواب مرضية عنك أي قد رضي الله عنها وأرضاها . ويقال لها ادخلي في جملة عباد الله الصالحين وادخلي الجنة دار كرامته ، قيل يقال ذلك عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضاً ..

قال تعالى :

« كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَـاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَـٰأَيَّتُهَا النَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) » .

---

( أنى ) من أين . ( لا يوثق ) لا يقيد ويؤسر .

# تفسير سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

« لَا أُقْسِمُ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) »

أقسم سبحانه بهذا البلد وهو مكة ، فدل ذلك على عظم قدرها وحرمتها ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحلها له حتى يقاتل فيها . وهو معنى قوله تعالى : ( وأنت حل بهذا البلد ) أي حلال بهذا البلد تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ، وقد أحلّ الله لنبيه مكة يوم الفتح : قاتل فيها وقَتل ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ولم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنما أحلّت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة . ثم أقسم سبحانه بالوالد وما ولد ، قيل آراد بالوالد آدم والولد ذريته ومعنى ما ولد أي ما نسل ، أقسم بهم لأن فيهم الأنبياء والصالحين والدعاة إلى الله ، وقيل أراد بالوالد والولد العموم لكل والد ومولود وجواب القسم هو ( لقد خلقنا الإنسان في كبد ) وأصل الكبد بفتح الباء الشدة ومعنى الآية لقد

---

( لا أقسم ) أقسم ، و « لا » زائدة . ( حل ) أي حلال . ( كبد ) شدة ومشقة .

خلق الله ابن آدم في شدة وعناء يكابد شدائد الدنيا منذ طفولته ويكابد شدائد الآخرة بعد ذلك .

ثم أخذ سبحانه يذكر غرور الإنسان بما أوتي من نعم الله عليه ويقول : إنني لا يقدر أحد مهما أُوتي من القوة على قهري . ويعني بهـذا الإنسان شخصاً معيناً في قريش قيل : هو أبو الأشد ، وقيل غيره ،وقيل المراد بالإنسان الجنس فتكون الآية التالية عامة . ومعناها: أيظن ابن آدم أن الله لا يقدر على بعثه ومعاقبته ؟ قال تعالى :

« أَيَحْسَبُ أَن لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) » .

ولكن إذا كان المراد بهذه الآية شخصاً معيناً فيكون تفسير الآية التاليـة إنه أنفق مالاً كثيراً ملبداً بعضه على بعض في عداء الرسول ﷺ على زعمه وهو كاذب . وإن كان المراد بهـا جنس الإنسان فيكون المعنى أن ابن آدم يقول لقد أنفقت مالاً كثيراً ، فمن يحـاسبني به . أيظن أن الله لم يره فيعلم مقدار نفقته ؟ وقيل أيظن أن الله لا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ قال تعالى :

« يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَـالاً لُّبَداً (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) » .

ثم أخـذ سبحانه يعدد عليه شيئاً من نعمه ويذكرها ليشكر . فقـال

---

« مالاً لبداً » كثيراً بعضه فوق بعض .

في صيغة الاستفهام التقريري . أما جعلنا له عينين يبصر بهما المرئيات ، ولساناً ينطق به ويعبر عما في ضميره ، وشفتين يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام ، وجمالاً لوجهه وفمه ، وبيّنا له طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلال ، فهلا كان من الأجدر به مقابل هذه النعم أن ينفق ماله في مرضاة الله مما يجتاز به العقبة ، وهي في جهنم ، وقيل : أنها مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة ، ثم عظم شأن العقبة بالسؤال عنها ، وأرشد إلى اقتحامها بسلوك أبواب من الخير : من فك الرقاب أي عتقها من الرق ، وإطعام اليتيم القريب في يوم المجاعة ، وإطعام المسكين الذي لا شيء له حتى كأنه لصق بالتراب من الفقر ، ثم كان مع هذه الأعمال الكريمة التي ذكرت ، من المؤمنين الذين يحتسبون ثواب ما قدموا من عمل صالح عند الله ، ومن الذين يوصي بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله ، والصبر عن معاصيه والصبر على ما يصيبهم من البلاء ومن أذى الناس ، من الذين يوصي بعضهم بعضاً بالتراحم والرفق بالخلق ، ولذلك رحموا اليتيم والمسكين . وأصحاب هذه الأوصاف وصفهم الله سبحانه بأنهم أصحاب اليمين ، الذين يؤتون كتب أعمالهم بأيمانهم ، أما الذين جحدوا بآيات الله بها وبالقرآن وكفروا فهم اصحاب الشمال : ( عليهم نار مؤصدة ) تطبق عليهم فلا محيد لهم عنها ولا مخرج لهم منها . قال تعالى :

« أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَهُ

النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠) ».

---

« النجدين » طريق الخير وطريق الشر . « فك رقبة » عتق عبد أو جارية . « مسغبة » مجاعة . « متربة » فقر شديد . « المرحمة » الرحمة . « الميمنة » اليمين . « المشأمة » الشمال . « مؤصدة » مطبقة عليهم .

# تفسير سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) » .

هذه جملة أشياء أقسم بها الله تعالى ، فأقسم بالشمس وارتفاع ضوءها وهو ضحاها ، وأقسم بالقمر إذ تبع الشمس في الضياء والنور وذلك في النصف الأول من الشهر : إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة ، وأقسم بالنهار إذا جلا ظلمة البسيطة أي كشفها . أو جلا الشمس بأن تم فيه وضوحها ، وأقسم بالليل إذا غشي الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق . وأقسم بالسماء ( وما بناها ) أي ومن خلقها وهو الله سبحانه أي أقسم بنفسه ، وأقسم بالأرض ( وما دحاها ) أي ومن بسطها ومهدها للسكنى ، وأقسم بالنفس والمراد بها كل نفس من الجنّ ومن الإنس ( وما سواها )

---

( وضحاها ) ضوءها . ( تلاها ) تبعها . ( جلاّها ) كشف الظلمة . ( يغشاها ) يغطيها . ( سواها ) خلقها مستقيمة .

أي عدّل خلقها وسوّى أعضاءها ، أقسم بمن سوّى هذه النفس ، وبيّن لها طريق الخير والشر وعرّفها طريق الفجور والتقوى لتسلك أيهما شاءت حسب تقديره لها في الأزل من الشقاوة أو السعادة .. أقسم الله سبحانه بكل هذه الأقسام أنّ الفوز والفلاح لمن يزكي نفسه ويطهرها من الذنوب والمعاصي ، وأن الخيبة والخسران لمن يضع من نفسه ويحقرها بالذنوب والمعصية والكفر .. ومعنى دساها أخفاها كأن الكافر أو العاصي أخفى نفسه بالكفر والمعاصي من أن ترتفع وتظهر بالطاعة والإيمان . قال تعالى :

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) » .

ثم ذكر سبحانه قصة ثمود ، وهم قوم صالح لأخذ العبرة منها وليرتدع من كذب رسول الله من قريش عن تكذيبه ، خشية أن يصيبه ما أصاب من قبله من الأمم المكذبة ، فأخبر سبحانه أن ثمود بسبب طغيانها كذبت رسول الله صالحاً فيما أخبرهم به من عذاب الله ، حين قام لعقر الناقة التي جعلها لهم آية ، قام لعقرها أشقى ثمود ، فنهاهم رسول الله صالح عن عقرها قائلاً احذروا عقر ناقة الله وذروا الماء في اليوم الذي تشرب منه لا تتعرضوا له ولا تعتدوا عليها في سقياها ، فكذبوا صالحاً فيما جاءهم وفيما أنذرهم به من العذاب وتجرأوا فعقروا الناقة ، فأهلكهم الله هلاك استئصال فلم يفلت منهم أحد ، لأنهم أجمعوا على قتل الناقة وتكذيب الرسول ، فسوى الله بينهم في العذاب والدمدمة والتدمير وتضعيف

---

« زكاها » طهرها . « دساها » نقصها وانحط بها .

العذاب وإطباقه عليهم ، فعل بهم سبحانه كل ذلك ولم يخف فيه تبعة من أحد ، فهو الحكيم في صنعه لا يسأل عما يفعل . قال تعالى :

« كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ».

---

« بطغواها » بطغيانها . « انبعث » أسرع . « سقياها » شربها . « فدمدم » فدمر . « فسواها » عاقبهم على السواء . « عقباها » عاقبتها

# تفسير سورة الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) ».

أقسم سبحانه بالليل حين يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه ، وأقسم بالنهار إذا بان وظهر بضيائه وإشراقه ، وأقسم سبحانه بنفسه وهو الذي خلق الذكر والأنثى من ماء واحد ، أقسم أن أعمال العباد مختلفة متضادّة فمن فاعل خير ومن فاعل شر .

ثم فصل في ذلك فقال : أما الذي أعطى ماله في سبيل الله وأعطى ما أمر بإخراجه من الزكاة وخاف الله تعالى فلم يرتكب محارمه ، بل وفى كل أموره وصدّق بالحسنى – قيل هي المجازاة على الأعمال والثواب عليه ، وقيل : بالخصلة الحسنى وهي الإسلام والاعتراف بالشهادة – فسيهيئه الله في الدنيا للخلة اليسرى ، وهي العمل بما يرضي الله تعالى ، وعلى العكس من ذلك من بخل بالنفقة في الخير ، واستغنى عن ثواب الله فلم يرغب فيه ، وكذب بالحسنى كما مر تفسيرها، فسيهيئه الله لطريق الشر حتى يعمل بما لا يرضي الله فيستوجب به النار . جاء في

---

« يغشى » يغطي . « تجلى » ظهر . « لشتى » لمختلف .

الحديث : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . أمـــا أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل الشقاء ، وأما أهل السعادة فسييسرون لعمل السعادة — ثم قال سبحانه : وأي شيء ينفع هذا البخيل بالمال إذا مات وتردّى أي وقع في جهنم ؟ وقيل : وما يغني عنه أي ليس ينفعه ماله إذا مات أو هوى في النار ، فما هنا معناها النفي . قال تعالى :

« فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) » .

وبعد أن بيّن سبحانه ما للمحسن من اليسرى وما للمسيء من العسرى ، أخبر أن بيده سبحانه الإرشاد والهداية ، وعليه بيان طريقهما يرشد أولياءه إلى العمل بطاعته ويصرف عن العمل بها أعداءه ، وأخبر أيضاً أنّ الدنيا والآخرة ملك له فمن طلبهما من غيره أخطأ الطريق . قال تعالى :

« إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) » .

ثم أخذ سبحانه يخوف المكذبين لرسوله من عذاب النـــار ، وأخبر أنها ( تلظى ) أي تتوقد وتتلهب ، ولا يدخلها إلا الشقي الذي كذّب الرسول وأعرض عن الإيمـــان ، وسوف يُبعَد عن النار التقي الذي يعطي ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه ولا يطلب بمـا ينفقه رياء وسمعة

---

( بالحسنى ) بالخصلة الحسنى . ( فسنيسره ) نهيئه . ( لليسرى ) للخير . ( كذّب بالحسنى ) بالجزاء . ( للعسرى ) للشر . ( تردى ) هوى وسقط .

وهو أبو بكر الصديق في قول المفسرين جميعاً كان رضي الله عنه وأرضاه يشتري العبد المسلم فيعتقه تخليصاً له من تعذيب قريش . ولفظ الآية عام في كل من يتصف بخلال الخير ولا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما سبق فيكون كرد الجميل . لكنه يفعل الخير خالصاً لوجه الله تعالى رجاء أن يثيبه الله عليه في الآخرة . ومن حسن الثواب النظر إلى وجه الرب الكريم في روضات الجنات . وسوف يرضى هذا المحسن بما يعطيه الله له من الجزاء في الآخرة على إحسانه في الدنيا ، قال تعالى :

« فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى (١٤) لاَ يَصْلَـٰهَا إِلاَّ ٱلأَشْقَى (١٥) ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلأَتْقَى (١٧) ٱلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) » .

---

( تلظى ) تتلظى أي تتوقد . ( لا يصلاها ) يحترق بها . ( تولى ) أعرض عن الإيمان والعمل . ( نعمة تجزى ) يد يكافأ عليها .

# تفسير سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) » .

أقسم سبحانه بوقت الضحى وهو صدر النهار . وقيل المراد به النهار كله . كما أقسم بالليل إذا سجى أي سكن واستقر ظلامه . وقيل سجى غطى كل شيء بظلامه . وأقسم أنه ما ودّع الرسول أي ما تركه منذ اختاره لرسالته ولا أبغضه منذ أحبه . وذلك أنه عندما فتر نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الوحي الأول قالت قريش ودعه ربه وقلاه . فردّ الله عليهم بقوله : ( ما ودّعك ربك وما قلى ) فهو الحبيب المختار . وإن له في الدار الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود ورفع الدرجات وغير ذلك ما يجعله يزهد في الدنيا وما فيها. فالآخرة خير له من الدنيا ولسوف يعطيه الله في الآخرة من كل ذلك حتى يرضى .

---

( سجى ) غطى كل شيء بالظلمة . ( قلى ) أبغض .

ثم أخذ سبحانه يعدد نعمه على رسوله منذ طفولته ليقيس عليها ما يُستقبل من نعم الله فتطيب نفسه ويقوى رجاؤه في الله . ووجّه الخطاب إليه قائلا : ألم تكن يتيماً حيث فقدت أبويك في طفولتك فآواك إلى عمك أبي طالب فكفلك .؟ ووجدك ضالاً عن معرفة الشريعة فهداك إليها ، فالضلال هنا بمعنى عدم المعرفة ، أي خالي الذهن عن معرفة الشريعة وعما يراد بك من النبوة .. ووجدك الله فقيراً فأغناك عمن سواه .. فالعائل هو الفقير – وهذا الفقر والغنى في المال . وغناؤه صلى الله عليه وسلم هو أن الله أعطاه الكفاف وجعله قانعاً بما أعطاه . وفي الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ، قال الله تعالى :

« أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨) » .

ذكر سبحانه تعداد هذه النعم على رسوله ثم ذكر له ثلاث وصايا وصّاه بها . والخطاب عام : وصّاه بعدم قهر اليتيم أي بعدم انتهاره وإهانته وإذلاله وغلبته على ماله ومنعه من حقه .. ووجوه القهر كثيرة .. بل يتلطف باليتيم ويحسن إليه .. ووصّاه أيضاً بعدم نهر السائل وزجره ، بل يرده بلين ولطف ، و ( السائل ) قيل المراد سائل الطعام والمال ، وقيل المراد به الذي يسأل العلم ، فعلى الأخير تكون التوصية بإرشاده وتعليمه . ووصّاه أيضاً بأن يتحدث بنعم

---

( آوى ) ضمك إلى عمك . ( ضالاً ) غافلا أو حائراً . ( فهدى ) هداك إلى التوحيد . ( عائلا ) فقيراً .

الله عليه ، والمراد بنعم الله جميع النعم ، ويدخل فيها نعمة النبوة وتعليم القرآن والشرائع ، فهو من التبليغ الذي يشمله معنى التحدث بالنعمة ، قال تعالى :

« فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) » .

# تفسير سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) ٱلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) ».

( ألم نشرح ) : استفهام بمعنى التقرير ، أي قد شرح الله صدر نبيه . وشرح الصدر باتساعه للعلم وتنويره بالحكمة والمعرفة ، وقيل: المراد شق جبريل لصدره صلى الله عليه وسلم في صغره . ويكون شرح الصدر بمعنى شقه . ومـا بعده من الآيات : نعم يعددها الله على رسوله . ومعنى وضع عنه وزره أي حط عنه مـا سلف منه في الجاهلية ، فهو كقوله تعالى : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .. وقيل : الوزر هو تكاليف النبوة ، وضعها عنه ، أي أعانه عليهـا . هذا الوزر على اختلاف تفسيره أثقل ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم وصار عليه كالحمل الثقيل ، فرفعه الله عنه ورفع ذكره عليه الصلاة والسلام فلا يذكر اسم الله إلا ويذكر اسم رسوله معه .. في الأذان والخطب .. في التشهد والدعاء .. وفي غير ذلك .. وهو أعظم رفعة لشأنه صلى الله عليه وسلم ..!

---

( نشرح ) نفسح ونوسع . ( ووضعنا ) حططنا عنك . ( وزرك ) الوزر الحمل والثقل .
( أنقض ) أثقل .

وبعد هذه النعم..أخذ يسليه سبحانه عن معاناة الشدائد في جهاد المشركين والصبر على أذاهم ، ويذكر سبحانه أنه قد أنعم عليه بالنعم السابقة ، وسوف يبدّله من عسره الذي هو فيه ، وشدته التي يعانيها ، يسراً ..! وكرر سبحانه الوعد له بذلك ليعظم رجاؤه .! قال تعالى :

« فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً (٦) » .

أي مع الشدة رخاء ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم عندما أنزلت عليه هذه الآية : أبشروا ..! قد جاءكم اليسر .. لن يغلب عسر يسرين ..!

وبعد أن عدد عليه نعمه .. ووعده باليسر والنصر وإظهاره على أعدائه ، أمره أن يتفرغ لعبادة ربه بحيث تكون كل أوقاته عامرة بها فلا يفرغ من عبادة إلا ويتبعها بأخرى ، والنصب هو التعب والمراد يتعب نفسه في طاعة الله شكراً لله . وأمره أيضاً أن يعلق قلبه بالله وحده ، بحيث لا يرغب في كل أحواله إلا إليه ، لا إلى أحد غيره ، قال تعالى :

« فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨) » .

---

( العسر ) الشدة . ( يسراً ) سهولة . ( فانصب ) فاتعب . ( فارغب ) اجعل رغبتك في الله .

# تفسير سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) » .

ورد في تفسير التين والزيتون جملة أقوال منها قول ابن عباس: التين تينكم الذي تأكلون ، والزيتون زيتونكم الذي تعصرون. ومنها القول بأنها ثلاثة مواضع بعث الله في كل منها رسولاً : فالموضع الأول موضع التين والزيتون هو بيت المقدس بعث الله فيه عيسى ابن مريم ، والموضع الثاني ( طور سنين ) وهو طور سيناء الموضع الذي كلم الله فيه موسى ، والموضع الثالث مكة وهو البلد الأمين بلا اختلاف .

ثم أخبر سبحانه : أنه خلق الإنسان والمراد به الجنس في أحسن صورة وشكل ، معتدل القامة مستوياً ، على عكس الحيوان ( لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ) وهو جواب القسم . ولكن الإنسان غفل عما ميز به عن سائر المخلوقات وعمل بمعاصي الله وأعرض عما ينفعه في معاده ، من أجل ذلك جعل

---

( طور سنين ) الجبل الذي كلم الله عليه موسى .

الله مرده إلى أسفل سافلين أي إلى النار في الآخرة ، إن تمادى في غيه ولم يعمل بطاعة ربه ويتبع رسله ، وقيل ، المراد بهذا الإنسان الكافر . أما المؤمن الذي يعمل الأعمال الصالحة ، فإنه لا يردّ إلى النار بل يعطى جزاء أعماله أجراً غير مقطوع — وقيل أيضاً في تفسير ( ثم رددناه أسفل سافلين ) : إن المرء يرد بعد الشباب والنضارة إلى الهرم والشيخوخة .. فالمؤمن إذا بلغ الهرم وعجز عما كان يعمله من الأعمال الصالحة في الدنيا ، يعطى أجر ما كان يعمله في عهد الشباب والصحة أجراً وجزاء في الآخرة غير منقوص . ثم خاطب الله الإنسان قائلاً له: أي سبب يحملك أيها الإنسان على التكذيب بالمعاد والجزاء على الأعمال بعد أن ظهرت لك البراهين واضحة في خلقك وانتقالك من حال إلى أخرى ، ومن قدر على الخلق قدر على إعادته ، أليس الله بأعدل الحاكمين قضاء وحكماً ؟ ومن عدله جعل المعاد لينتصف للمظلوم من الظالم ، قال تعالى :

« لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ (٥) إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ (٧) أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ (٨) » .

---

« أحسن تقويم » في أعدل خلقة . « أسفل سافلين » من أهل النار إن لم يطع ربه لأن جهنم بعضها أسفل من بعض . « غير ممنون » غير مقطوع . « بالدين » بالجزاء في المعاد .

# تفسير سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

« ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) » .

الخطاب بكلمة ( اقرأ ) موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أول نزول الوحي عليه إذ كان يتعبد في غار حراء ، فجاء جبريل بوحي الله وابتدأه بقوله : ( اقرأ باسم ربك ) أي اقرأ ما أُنزل إليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك الذي خلق جميع المخلوقات ثم خص الإنسان بالذكر من بين المخلوقات لشرفه ولأنه هو المخاطب بالتنزيل ، وأخذ يفصل سبحانه في خلق الانسان ، فذكر أنه خلقه من علق ، وهو الدم الجامد بعد النطفة ، وعلق جمع علقة ، ذكره بلفظ الجمع لأنه أراد بالإنسان الجمع والإنسان هو ابن آدم . ثم كرر الأمر بالقراءة للتأكيد حيث قال : ( اقرأ ) . ومعنى ( وربك الأكرم ) أي البالغ أقصى حدود الحلم والكرم فلا يعجل بالعقوبة على عباده بل يعفو ويتجاوز عن سيئاتهم .. ومن عظيم نعمه وكرمه أنه علم الإنسان الخط بالقلم .. ونقله بذلك

---

( علق ) جمع علقة وهي قطعة دم جامدة.

من ظلمة الجهل إلى نور العلم .. ولولا الكتابة لما دونت العلوم ولما استقامت أُمور الدين والدنيا ولهذا قال تعالى : ( علم الإنسان ما لم يعلم ) أي بالكتابة علمه ما لم يكن يعلمه من العلوم النافعة والكتب المنزلة .

ثم أخبر سبحانه عن حال الإنسان وجهله ومن دلائل ذلك الجهل أن الغنى يطغيه ، وبدأ ذلك بقوله : ( كلا ) أي حقاً كما مر .. ثم قال : إنه إذا رأى نفسه كثير المال واسع الثروة يرفل في النعيم .. طغى وتجاوز حده وتمرد . قيل : إن هذه وما بعدها في أبي جهل وقد توعده الله سواء كان أبا جهل أو غيره بما لعله أن يزجره قائلاً : إن المرجع والمصير إلى الله ، وسوف يحاسب كل إنسان عن ماله من أين جمعه وفيم أنفقه . قال تعالى :

« كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ (٦) أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ (٨) » .

واستمر بعد ذلك يذكر طرفاً من عداء أبي جهل لرسوله صلى الله عليه وسلم مبتدئاً ذلك بقوله :(أرأيت ) ومعناها ألا تخبر .؟ وفيها معنى التعجب ! ألا تخبرني إن كان الذي تنهاه عن الصلاة عند البيت على هدى من ربه أو كان يأمر بالإخلاص والتوحيد ، أليس يكون ناهيه عن الصلاة هالكاً ؟ قال تعالى :

« أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ (١٠) أَرَءَيْتَ إِن

كَانَ عَلَى ٱلْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) » .

ثم توعد سبحانه هذا الناهي وهو أبو جهل بصيغة الاستفهام التقريري قائلاً : أما علم أن الله يراه ويعلم فعله ويسمع كلامه وتهديده وسيجازيه عليه ، قال تعالى :

« أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ ٱللهَ يَرَى (١٤) » .

ثم زاد سبحانه في توعد هذا الناهي وتهديده ، قائلاً : إنه إن لم ينته عن إيذاء الرسول وتكذيبه لنأخذن بناصيته يوم القيامة فتطوى مع قدميه ويطرح في النار ..! ووصف ناصية هذا الطاغية بأنها ناصية كاذبة في قولها ، خاطئة في فعلها ، والمراد صاحبها .. والناصية شعر مقدم الرأس ، عبّر عن الكل بالجزء .

روي أن أبا جهل مرّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي عند البيت ، فقال : ألم أنهك عن هذا ؟ فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم في القول فقال أبو جهل : بأي شيء تهددني ؟ أما والله إني لأكثر أهل هذا الوادي نادياً .. فأنزل الله تعالى ( فليدع ناديه ) ليدع قومه وعشيرته وليستنصر بهم إن كانوا يستطيعون نصره ..! وأما نحن فإننا ( سندع الزبانية ) ملائكة العذاب الغلاظ الشداد .. قال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته ..! والنادي المجلس الذي يجتمع فيه الناس ، والمراد أهل النادي . ثم أمر الله رسوله بعصيان هذا

الناهي المعتدي كما أمره بعبادته ، والاقتراب منه : اللجوء إليه ، والصلاة له ، وعبر عن الصلاة بجزء منها ، وهو السجود ، قال تعالى :

« كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩) » .

---

( لنسعفاً بالناصية ) الناصية شعر مقدم الرأس والمعنى لنأخذن بناصيته ولنجرنه إلى النار .
( ناديه ) قومه وعشيرته . ( الزبانية ) الملائكة الغلاظ الشداد، زبانية جهنم .

# تفسير سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (١٣) ».

يخبر الله سبحانه أنه أنزل القرآن في ليلة القدر ، روي عن ابن عباس وغيره قال : أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وليلة القدر قيل معناها : ليلة العظمة والشرف .. وقيل سميت ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام ، يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده .. ثم قال سبحانه معظماً شأنها : ( وما أدريك ما ليلة القدر ) وبيّن مقدار فضلها بقوله : ( ليلة القدر خير من ألف شهر ) أي العبادة فيها وإحياؤها بالطاعة يعدل عبادة ألف شهر وبالطبع ليس في شهر منها ليلة القدر .

ثم أخبر عن زيادة فضلها وكثرة بركتها أن الملائكة يكثر تنزلهم فيها وينزل معهم جبريل .. وهو المعني بقوله تعالى : ( والروح ) أي وينزل الروح أيضاً ؛ ينزلون بكل أمر من الخير والشر قدره الله ،

---

( ليلة القدر ) هي ليلة الشرف الرفيع والقدر العالي .

ونزولهم بأمر الله سبحانه ، ثم زاد في فضلها فقال : إنهـــا ( سلام ) أي تسلم الملائكة ليلة القدر على المؤمنين في الأرض من حين غياب الشمس إلى أن تطلع ، وقيل : ( سلام هي ) أي ليلة القدر سلام وخير كلها ليس فيها شر إلى مطلـع الفجر . صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في فضل قيامها : من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، وقال في وقتها : التمسوها في أوتار العشر الأواخر من رمضان ؛ أي في الأيام الفردية من الثلث الأخير من كل رمضان . قال تعالى :

« تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَـٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ (٥) ».

---

( الروح ) هو جبريل . ( من كل أمر ) بكل أمر من الخير والشر . ( سلام ) المراد تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد أو أن ليلة القدر سلام لا يقدّر الله فيها إلا السلامة .

# تفسير سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

« لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (١) » .

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى .. والمشركون هم عبدة الأوثان والنيران من العرب والعجم ، وأخبر الله سبحانه أن أهل الكتاب والمشركين لم يكونوا منفكين أي منتهين عن كفرهم وشركهم حتى جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو البينة أي الحجة الواضحة ، أتاهم بالقرآن ودعاهم إلى الإسلام والإيمان فآمن به فريق من كل من الصنفين .

ثم وضح البينة أيضاً بقوله : ( رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ) أي البينة هي الرسول الذي يقرأ القرآن والقرآن مكتوب في صحف وصفها سبحانه بأنها مطهرة من الباطل والكذب ، ( فيها ) أي في الصحف ( كتب ) أي مكتوب أحكام عادلة مستقيمة فـ ( كتب ) بمعنى المكتوب في الكتب وهو كما تقدم المراد به القرآن فيه أحكام الحلال والحرام وغير ذلك . قال تعالى :

---

« منفكين » منتهين . « البينة » الحجة الواضحة .

« رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) » .

ثم أخبر سبحانه أن أهل الكتاب كانوا مجتمعين على صحة نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ كانوا يعلمون من كتبهم أمر بعثه فلما بعث اختلفوا وتفرقوا . فآمن به بعضهم وكفر به آخرون .. وقيل : أراد بتفرق أهل الكتب اختلافهم في الكتب المنزلة على رسلهم ، والشيء الذي أراده الله من معانيها ومقاصدها .. كما جاء في الحديث : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على إثنتين وسبعين فرقة ، الحديث . قال تعالى :

« وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (٤) » .

أي جاءتهم في كتبهم أنه نبي مرسل ، أي الرسول ﷺ .

ثم أخبر سبحانه أن أهل الكتاب لم يؤمروا في كتبهم إلا بعبادة الله وحده وبإخلاص الدين له وبأن يكونوا حنفاء أي مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان كلها إلى دين التوحيد ، وأُمروا أن يقيموا الصلاة أي يؤدوها في أوقاتها وأمروا أيضاً بإعطاء الزكاة الواجبة متى وجبت وهي حق المال ، ومجموع هذه الأمور هي الملة المستقيمة العادلة . قال تعالى :

---

« مطهرة » طاهرة من الكذب والباطل . « قيمة » عادلة مستقيمة .

« وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ (٥) » .

ثم أخبر سبحانه عن حال الأشقياء والسعداء في الآخرة فقال : إن الكفرة من أهل الكتاب والمشركين يدخلهم الله في الآخرة نار جهنم خالدين فيها لا ينفك عنهم عذابها لأنهم بكفرهم وتكذيبهم صاروا شر الخليقة فجازاهم الله بالعذاب الأليم في جهنم . وعلى عكسهم المؤمنون الذين يعملون الأعمال الصالحة يتقربون بها إلى الله هم خير الخليقة جازاهم الله في الآخرة بالدخول في جنات عدن لا يتحولون عنها ، أي جنات إقامة لا انقضاء لها . ووصف سبحانه هذه الجنان بأن الأنهار تجري من تحتها ، وهم خالدون في هذه الجنات لا يموتون ولا يرتحلون وقد رضي الله عنهم بقبول أعمالهم ورضوا عن الله لما آتاهم من الثواب في الجنة . وهذا الرضاء وحسن الجزاء لكل من خاف ربه في دنياه وانتهى عن معاصيه ، قال تعالى :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨) » .

---

« حنفاء » مقبلين على التوحيد معرضين عن الشرك . « دين القيمة » الملة المستقيمة . « البرية » الخليقة .

# تفسير سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) » .

يقول الله تعالى : إذا تحركت الأرض حركتها الشديدة لقيام الساعة ، وإذا أخرجت الأرض ما في بطنها من الأموات وما في داخلها من الكنوز فألقته على ظهرها ، واستنكر الإنسان أمرها حيث اضطربت بعد الاستقرار والسكون ، قيل : إن الذي يستنكر أمرها ويعجب من حالها هو الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث ، أما المؤمن فهو موقن بكل ذلك فلا يعجب ولا يستغرب ، في ذلك اليوم تحدّث الأرض بأخبارها أي تخبر بما عمل العاملون عليها وتشهد عليهم بأعمالهم ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ( يومئذ تحدّث أخبارها ) فقال:أتدرون ما أخبارها؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنّ أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل عليّ كذا وكذا يوم كذا وكذا ، قال فهذه أخبارها.. وهذا الإخبار

---

« زلزلت » حركت حركة شديدة . « زلزالها » تحريكها . « أثقالها » موتاها .

والتحدث من قبل الأرض بسبب أن الله تعالى أوحى إليها أن تتحدث ، وأذن لها في ذلك .

ثم أخبر سبحانه أنه في ذلك اليوم يرجع الناس من موقف الحساب متفرقين أنواعاً وأصنافاً بين شقي وسعيد، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار ، وصدورهم هذا من موقف العرض والحساب ليروا جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، ولينزلوا منازلهم من الجنة أو النار حسب مـــا تؤهلهم له أعمالهم ، فمن يعمل في الدنيا وزن نملة صغيرة – أصغر مـا تكون من النمل – من خير أو شر يلقى جزاءه في الآخرة . قال ابن عباس : ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً في الدنيا إلا أراه الله له يوم القيامة فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته ، فيغفر الله له سيئاته ويثيبه على حسناته ، وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته . قال تعالى :

« يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (٨) ».

« يصدر الناس » يرجع الناس من موقف الحساب . « أشتاتاً » متفرقين . « مثقال ذرة » وزن نملة صغيرة .

# تفسير سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَالْعَـٰدِيَاتِ ضَبْحاً (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (٥) » .

أقسم الله سبحانه بالخيل حين تعدو بأصحابها للغزو في سبيل الله فتضبح .. والضبح صوت أجوافها إذا عدت، وتوري أي توقد النار بحوافرها إذا اصطكت بالحجارة من شدّة العدو ، وتغير صباحاً بأصحابها فتثير الغبار وتتوسط بهم وسط جمع العدو .. أقسم سبحانه بكل ذلك أن الإنسان لنعم ربه لجحود ، وأن الله على كفر الإنسان لنعم ربه لشهيد ، وقيل أقسم: إن الإنسان شاهد على نفسه بهذا الكفر لنعم الله بما يظهر من ذلك في أقواله وأفعاله، وإن الإنسان ( لحب الخير ) وهو المال ( لشديد ) أي لشديد الحرص على المال ، بخيل به لشدة حبه له ، أفلا يعلم هذا الإنسان الكفور لنعم الله الشديد الحرص والحب للمال أن الله سبحانه سوف يثير القبور ويخرج ما فيها من الأموات ليوم البعث ،

---

« العاديات » الخيل إذا أجريت في سبيل الله . « ضبحاً » الضبح هو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو . « فالموريات » قدحاً أي تصطك نعالها بالصخر فتقدح منه النار . « نقعاً » غباراً .

وسوف يبرز ما يكون مكنوناً في الصدور ومستوراً في النفوس فيحاسب العباد ويجازيهم عليه يوم الجزاء . فهو عليم بهم في ذلك اليوم ولا يخفى عليه منهم خافية ، وكل الآيات التي وردت بعد ذلك القسم جواب له .. قال تعالى :

« إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١) ».

---

( لكنود ) جحود . ( حصّل ما في الصدور ) أبرز و ظهر .

# تفسير سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« ٱلْقَارِعَةُ (١) مَا ٱلْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ (٥) » .

( القارعة ) من أسماء القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بالفزع . ( ما القارعة ) استفهام عن القارعة ، معناه أي شيء هي القارعة ، وأعاد سبحانه الاستفهام في الآية التالية تعظيماً لشأن القارعة وتهويلاً لأمرها . ( وما أدراك ما القارعة ) ثم فسر ذلك بقوله : ( يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ) أي تكون القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . والفراش هو ما يطير في الجو ويتهافت على السراج ويتساقط في النار ، شبّه الناس عند البعث بالفراش في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم وحيرتهم مما هم فيه ، ثم شبه الجبال بالصوف المنفوش الذي شرع في الذهاب والتمزق ، أي تصير هباء وتزول .

---

( القارعة ) من أسماء القيامة . ( الفراش ) دويبات صغيرة تتهافت في النار . ( المبثوث ) المفرق . ( العهن ) الصوف .

ثم ذكر الله ما يكون بعد ذلك من وزن الأعمال فمن ثقلت موازين أعماله ورجحت حسناته على سيئاته فهو في عيش مرضي يرضاه صاحبه في الجنة؛ وعلى عكسه من خفت موازين أعماله بمعنى رجحت سيئاته على حسناته فسكنه النار . سمي المسكن أماً لأن الأصل في السكون أن يكون إلى الأمهات . والهاوية اسم من أسماء جهنم ، سميت بذلك لأنه يهوي فيها مع بعد أسفلها ..! ثم استفهم عنها سبحانه أي عن الهاوية لتهويل أمرها وفسرها بقوله : ( نار حامية ) شديدة الحرارة قوية اللهب . قال تعالى :

« فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) » .

---

( فأمه ) ما يأوي إليه . ( هاوية ) الهاوية اسم من أسماء جهنم .

# تفسير سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلْهَـٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ (٢) » .

هذا إخبار والمراد منه الوعظ والتقريع ، ومعناه : شغلتكم المكاثرة والمباهاة بكثرة المال والعدد ، عن طاعة الله وما ينجيكم من عذابه ، وتماديتم في ذلك حتى جاءكم الموت ودفنتم في المقابر . ثم أخذ سبحانه يتوعد المتكاثرين بقوله ( كلا سوف تعلمون ) أي انزجروا عن هذا التكاثر ، وكرر هذا الوعيد مبالغة في الزجر ومعناه سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم بالمال والولد واشتغالكم بذلك عن الآخرة إذا نزل بكم الموت ، قال تعالى :

« كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) » .

وكرر سبحانه الزجر في الآية التالية بقوله : ( كلا ) . ثم قال بعدها لو تعلمون علماً يقيناً عاقبة أمركم بعد الموت ، لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر ، ثم توعد سبحانه عباده برؤية النار في الآخرة بأبصارهم ، ثم أكد هذا الوعيد بتكراره معطوفاً بثم تغليظاً في التهديد والتوعد قائلاً

---

( ألهاكم ) شغلكم . ( التكاثر ) أي المفاخرة بكثرة المال والولد . ( زرتم المقابر ) متم ودفنتم في المقابر .

لترونها رؤية هي اليقين نفسه ، ولسوف تسألون في يوم الجزاء عن كل ما أنعم الله به عليكم في الدنيا من النعم على اختلاف ألوانها ، قال تعالى :

« كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ (٨) ».

---

( علم اليقين ) أي علماً يقيناً . ( لترون الجحيم ) رؤية حقيقية .

# تفسير سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« وَٱلْعَصْرِ (١) إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) ».

العصر قيل : هو الزمان . وأقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب . وقيل: هو صلاة العصر أقسم الله بهـا لفضلها ، وأقسم سبحانه أن جنس الإنسان في خسارة وهلاك .

ثم استثنى من هـذا العموم الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الأعمـال الصالحة بجوارحهم ، وأوصى بعضهم بعضاً بلزوم الحـق وهو التوحيد والإيمان وأداء الطاعـات ؛ وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على أقدار الله المؤلمة ، وبالصبر على الأذى في حالة أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، قال تعالى :

« إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) » .

---

( العصر ) الدهر ، أو وقت صلاة العصر . ( خسر ) خسارة وهلاك . ( تواصوا ) أوصى بعضهم بعضاً .

# تفسير سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) » .

الهمز : يكون بالقول واللمز بالفعل . والمراد انتقاص الناس وازدراؤهم ، وقد توعد الله أصحاب هذه الرذائل بالويل وهو الخزي أو العذاب أو الهلاك .

والذي حمل هذا الهماز اللماز على الزراية بالناس وانتقاصهم هو كثرة ما جمعه من المال وإحصاء عدده ، يظن أن في هذا الجمع والإحصاء زيادة في رفع مكانته على من هو دونه ، ويظن أيضاً أن جمعه المال سوف يكتب له الخلود في الدنيا .. قال تعالى :

« ٱلَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) ».

ثم ردّ الله عليه هذا الظن الكاذب والزعم الباطل بقوله ( كلا ) أي ليس جمعه المال الذي يخلده في الدنيا ، بل سوف يموت ، وليطرحنّ في جهنم جزاء صنيعه ، سميت جهنم بالحطمة لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهمه ، وفسّر الحطمة وعظم من شأنها بالإستفهام عنها قائلاً ( وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة ) أي الحطمة هي نار الله الموقدة ، أي المسعرة المتلهبة ،

---

( همزة لمزة ) طعان مغتاب . ( عدّده ) أحصى عدده.

ثم وصفها سبحانه بأوصاف تشعر بمغايرتها لنار الدنيا ، وبشدة عذابها فوصفها أولاً بأن ألمها يصل إلى القلوب ، وهو المراد بقوله تعالى : ( تطلع على الأفئدة ) وذكر ثانياً أنها مطلعة على من يعذب فيها بحيث لا يستطيع الانفكاك من عذابها أو الخروج منها ، وذكر أيضاً أنها مع إطباقها عليهم تكون موصدة بأعمدة أي بأوتاد من حديد من نار زيادة في شدة التعذيب حتى يرجع عليهم غمها وحرها .
وقيل : إن أصحاب النار يعذبون بعمد في النار . قال تعالى :

« كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ (٥) نَارُ ٱللهِ ٱلْمُوقَدَةُ (٦) ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩) » .

---

( لينبذن ) ليلقين . ( الحطمة ) من أسماء النار . ( تطلع على الأفئدة ) يبلغ ألمها إلى القلوب . ( مؤصدة ) مطبقة مغلقة . ( في عمد ممددة ) يعذبون في النار بعمد أو أنها مطبقة عليهم بعمد ممدودة على أبوابها .

# تفسير سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ».

قصة أصحاب الفيل مشهورة مذكورة في التفاسير وكتب السير بطرق مطولة ، والعبرة منها حماية الله لبيته ممن أراد به كيداً وعزم على هدمه وهي نعمة عظمى على قريش جيران البيت تبعث على الشكر والقيام بتوحيد الله وطاعته ، وفيها أيضاً الأدلة العظيمة على قدرة الله تعالى وشدة عقابه للظالمين . وبدأ سبحانه السورة بالاستفهام التقريري قائلاً ( ألم ترَ ) قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أي ألم تعلم ما فعلت بأصحاب الفيل الذين قدموا لهدم الكعبة والخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه عام يشعر بعظم منة الله تعالى ، وأصحاب الفيل من الحبش قائدهم يدعى أبرهة كان معه فيل ، وقيل

---

« كيدهم » مكرهم . « تضليل » خسارة وبطلان . « أبابيل » جماعات كثيرة متفرقة . « سجيل » الطين المتحجر . « كعصف » العصف : التبن أو ورق الزرع الذي أكلته الدواب فصار روثاً .

جملة أفيال غير أن فيلهم هو أعظم الفيلة فنسبوا إليه ، ولم يستطيعوا تنفيـــذ خطتهم بل انتقم الله منهم قبل أن يصلوا إلى البيت ، ولذلك قال تعالى : ( ألم يجعل كيدهم ) أي مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة وهدمهـــا في خسارة وبطلان حيث أرسل عليهم من أضعف مخلوقاته جماعات من الطير ، فمعنى أبابيل أي مجتمعة ، وقيل متتابعة بعضها في إثر بعض ، هذه الجماعات العظيمة من الطير ترمي هؤلاء المعتدين الذين قصدوا هدم الكعبة بحجارة من طين ؛ أحمي عليها في نار جهنم ، قيل معنى السجيل الطين الذي تحجر ، فكان وصفهم بعد هذا العذاب الذي أنزله الله بهم كالعصف المأكول ، قيل هو التبن ، وقيل ورق الزرع الذي يكون كالغلاف على الزرع تأكل الدواب بعضه ويتناثر ويتفرق البعض الآخر ، وقيل تأكله الدواب فيظهر منها روثاً ثم تتفرق أجزاء الروث ، شبّه تقطـــع أوصالهم وتناثر أجزائهم بتناثر أجزاء الروث .

# تفسير سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

« لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (١) » .

تقول ألفت الشيء إلفاً وآلفته إيلافاً لزمته وعكفت عليه ؛ ومعنى لإيلاف قريش : عجبوا للزوم وعكوف قريش وحبها رحلة الشتاء والصيف وتركها لعبادة الله . ولهذا قال :

« إِيلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَاءِ وَٱلصَّيْفِ (٢) » .

أي لزومها لرحلة الشتاء التي كانت ترحلها إلى اليمن لغرض التجارة ولزومها لرحلة الصيف التي كانت ترحلها للشام لغرض التجارة أيضاً ، وكانت العرب تحترمها فلا تعرض لها في أسفارها بسوء لأنها تسكن في جوار البيت وذلك مما يستوجب شكر هذه النعمة ، ولذلك أمرهم الله تعالى بعبادته وحده دون سواه فهو رب البيت الذي من أجله يحترمهم الناس ، والبيت هو الكعبة المشرفة وقيل : المراد به الحرم ، وهو الذي أطعمهم من بعد جوع بأن جعل الأرزاق تجيء إليهم من كل بلد بدعوة خليل الله إبراهيم وهم في وادٍ غير ذي زرع ، وهو الذي أمنهم من المخاوف فلا يعرض لهم أحد بسوء لا في بلدهم مكة لأنها

---

( لإيلاف قريش ) لإلفهم وتعودهم ، اعجبوا لذلك !

حرم حرمها الله تعالى ولا في أسفارهم لأنهم سكان الحرم ، وذلك ما يستوجب الشكر العظيم للمنعم بهذه النعم وهو الباري جل وعلا ، وفي مقدمـــة شكره إخلاص العبادة له فلا اتخاذ وسطـــاء ولا اتخاذ شفعاء كما يفعلون ، ولا عبادة أوثان ولا عبادة أصنام كما يعبدون ، قال تعالى :

« فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ (٣) ٱلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤) » .

# تفسير سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) » .

بدأ سبحانه هذه السورة بالاستفهام عن ( الذي يكذب بالدين ) أي بالحساب والجزاء ، ثم قال إن كنت لا تعرفه فهذه أوصافه : إنه ( يدع اليتيم ) أي يدفعه دفعاً عنيفاً ويزجره إن جاء يطلب شيئاً ، أو جاء يطالب بحقه ، وهو أيضاً لا يرغّب في إطعام المسكين ولا يفعله لأنه يكذب بالجزاء عليه . قيل : أراد بهذه الآيات شخصاً معيناً هو العاص بن وائل أو الوليد بن المغيرة . وقيل : هي عامة والخطاب بالاستفهام في أول السورة موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم عقب على هذه الأوصاف المذمومة بأوصاف أخرى لفريق آخر من الناس ، هي أيضاً موضع الذم ، وتوعد أصحابها بالويل وهو العذاب أما أصحابها فهم المنافقون وأول أوصافهم أنهم ( عن صلاتهم ساهون ) ثم وضح ذلك بأنهم (يراءون ) أي يصلون الصلاة في العلانية ليظن فيهم

---

( أرأيت ) هل عرفت . ( بالدين ) بالجزاء . ( يدع ) يدفع ويزجر . ( لا يحض ) لا يحث .

الإسلام والخير ، ويتركونها في السر لأنهم لا يؤمنون بها فهم ساهون عن فعلها بتركها .. وهم مراءون بها عند فعلها تامة . وثاني أوصافهم أنهم لا يحسنون إلى العبادة حتى بالأمور الصغيرة التي يحصل بها التعاون كإعارتهم أواني الطعام والشراب وغيرها للمحتاجين إليها ، والزكاة من أبرز ما يكون به التعاون ، ولهذا صرف بعض المفسرين قوله تعالى : ( ويمنعون الماعون ) إلى الزكاة أي لا يخرجون زكاة أموالهم التي يحصل بها تعاون الأغنياء للفقراء ، قال تعالى:

« فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ (٥) ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ (٧) » .

قال كثير من العلماء: إن كل من أخر الصلاة عن وقتها ولم يؤدها تامة كما أمر الله بأركانها وشروطها فهو ساهٍ يلحقه ما في هذه السورة من الوعيد . فلنحافظ على الصلاة . وقانا الله شر المآل ، وأعاننا على خير الأعمال .

---

( فويل ) هلاك وعذاب . ( ساهون ) غافلون . ( الماعون ) كل ما يستعان وينتفع به .

# تفسير سورة «الكافرون»

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ (١) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) » .

أمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يوجه الخطاب إلى المشركين وأن يتبرأ منهم ومما يعبدون ، وذلك أن قريشاً طلبت منه أن يعبد آلهتهم سنة وهم أيضاً يعبدون الله تعالى سنة فيجاملهم ويجاملونه ، فتبرأ الرسول كما أمره ربه من عبادة ما يعبدونه في الحال وأخبرهم بأنهم يكذبون في ادعائهم عبادة الله وحده في الحال أيضاً ، ثم كرر لهم البراءة من معبوداتهم في المستقبل كذلك ، وأخبرهم أنهم لن يفعلوا ذلك في المستقبل أيضاً بل سيظلون في كفرهم بالله وما اتخذوه لأنفسهم من معبودات باطلة، لأن عبادة الله وحده لا تستقيم مع الإشراك به ودين الله لا يستقيم إلا بالبراءة من الشرك وما يتصل بالشرك .. قال تعالى :

«وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٥)».

وختم هذه البراءة بإخبارهم أن لهم دينهم الذي اختاروه لأنفسهم وهو الشرك وله دينه الذي ارتضاه الله له وهو التوحيد . وقيل إن هذا الخطاب بهذه السورة لمن سبق في علم الله أنهم لن يؤمنوا ولن يهتدوا . قال تعالى :

« لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ (٦) » .

# تفسير سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجاً (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً (٣) » .

النصر هو العون ، والفتح ، فتح مكة . والمراد نصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعونه له حتى تمت له الغلبة على أعدائه ومكنه الله من فتح مكة . المعنى إذا رأيت نصر الله لك وتأييده بفتح مكة وجعلها دار إسلام ورأيت الناس على العموم يدخلون في الإسلام جماعات ؛ عندئذ صل شكراً لله حامداً له على ما آتاك من الظفر والفتح ، ولذلك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثماني ركعات شكراً لله تعالى وقيل : المراد من معنى هذه السورة أنك إذا فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام أفواجاً فقد فرغ شغلك من الدنيا وانتهت مهمتك فتهيأ للقدوم علينا وفي خلال ذلك ( سبح بحمد ربك ) أي قل سبحان الله وبحمده .. سبحانك اللهم وبحمدك .. وما شابه ذلك وأكثر من

---

( النصر ) هو العون . ( الفتح ) فتح مكة . ( أفواجاً ) جماعات .

الاستغفار إنه كان تواباً . قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : مـــا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن أنزلت عليه سورة ( إذا جـاء نصر الله والفتح ) إلا يقول : سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي . وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من الصحابة من هذه السورة دنو أجله . روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمعها بكى وقال : الكمال دليـل الزوال .. وبكى العباس أيضاً،فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا عم ؟ قال: نعيت إليك نفسك ، قال : إنه لكما تقول — أي مثلما تقول — وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أياماً ، قيل ستين ، وقيل أكثر ، ثم التحق بالرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه .

# تفسير سورة المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

« تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) » .

تبت أي خسرت والتبـاب هو الخسران ، والمراد أبو لهب نفسه هو الذي خاب وخسر ، ( وتب ) تحققت خسارته وهلاكه ، فتبت الأولى دعـاء عليه بالخيبة والخسارة و ( تب ) الثانية خبر عنه بأنه قد خسر فعلا . وأبو لهب هو عبد العزى أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الناس عداوة لرسول الله ، وقيل في سبب نزول هذه السورة : إن الرسول صلى الله عليه وسلم صعد الصفا وجعـل ينادي بأعلى صوته قائلا : واصباحاه فاجتمعت عليه قريش فقال لهم : إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد ، فقام عنه أبو لهب وهو ينفض يده ويقول : تباً لك ، ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله هذه السورة .

وكان أبو لهب صاحب مال وولد فاعتز بماله وولده ، وقال : إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفتدي نفسي بمالي وولدي فردّ الله عليه بأنه خـاب وخسر ولن يغني عنه شيء من عذاب الله لا ماله ولا ولده ، عبر عن الولد بقوله ( وما كسب ) لأن الولد من كسب أبيه ، وقيل ( ما كسب ) أي ما اكتسبه

---

( تبت ) خسرت . ( وتب ) خسر وخاب .

من المال ، وسوف يدخل ناراً يصلى بحرها تتلهب عليه . وستصطلي وتعذب بهذه النار أيضاً امرأته وهي أم جميل أخت أبي سفيان ، أخبرنا عنها أنها ( حمالة الحطب ) ومعنى ذلك أنها كانت تمشي بالنميمة إطفاء لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقال لمن يسعى في الفتنة ويفسد بين الناس .. هو يحمل الحطب ، وقيل : كانت تحمل الشوك تضعه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم لإيذائه. ثم وصف سبحانه لوناً من عذابها في النار فأخبر أنها تطوق في عنقها وهو معنى ( جيدها ) بحبل مما أحكم فتله وهو من مسد جهنم . وقيل في عنقها طوق من حديد ، وقد كان لها قلادة فاخرة تتحلى بها في عنقها فقالت لأنفقنها في عداء محمد ، فأبدلها الله عنها حبلاً من مسد النار ، قال تعالى :

« مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَّسَدٍ (٥) » .

---

( ما كسب ) اكتسب . ( سيصلى ) يدخل ويعذب . ( جيدها ) عنقها .

# تفسير سورة الاخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٣) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (٤) » .

سبب نزول هذه السورة أنّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : انسب لنــا ربك ، وقال بعضهم : صف لنا ربك ، فأنزل الله هذه السورة ، والأحد هو الذي لا شبيه له ولا مثيــل ولا نظير . والصمد هو السيد الذي يصمد إليـــه الخلائق في حوائجهم أي تقصده في جلب النفــع ودفع الضر عنهم ، وتلك هي صفات الإله الحق المعبود . وهو الذي لم يلد ولم يولد ، أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة . وهو الذي لم يكن له أحد كفواً ، أي ليس له نظير ولا مماثل . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

---

« الله الصمد » المقصود وحده في قضاء الحوائج . « كفواً » نظيراً ومماثلا .

# تفسير سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ».

أمر الله رسوله بالالتجاء إلى رب الفلق والاعتصام به ، والفلق هو الصبح ، وأن يستعيذ من شر جميع المخلوقات ، ومن شر الليل وهو الفاسق ( إذا وقب ) إذا دخل بظلامه ، وأمره أن يستعيذ من شر السواحر إذا رقين ونفثن في عقد الخيط ومن شر أي حاسد إذا أظهر حسده وعمل به ، والحسد تمني زوال النعمة عن المحسود . والخلاصة : أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يتعوذ من جميع الشرور ، وجعل خاتمه ذلك الحسد تنبيهاً على كثرة ضرره ومفسدته ، والخطاب عام للأمة كلها.

---

« أعوذ » ألوذ وأعتصم وأستجير . « الفلق » الصبح . « غاسق » الغاسق : الليل . « وقب » دخل . « النفاثات » السواحر . « العقد » ما يعقدنه من الخيط وينفثن فيه السحر .

# تفسير سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ (١) مَلِكِ ٱلنَّاسِ (٢) إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ (٤) ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ (٥) مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ (٦) ».

أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالإستعاذة والإلتجاء إليه فهو رب الناس ؛ أي مربيهم بنعمه ، ومصلحهم بأمره ونهيه ، وهو ملك الناس ، أي مالكهم والمتصرف فيهم والمدبر أمورهم ، وهو إله الناس ، أي معبودهم الذي لا يستحق العبادة غيره فله سبحانه الربوبية والملك والألوهية . وجملة هذه الاستعاذات تكون من شر الشيطان فهو الوسواس .. أي الموسوس ، سمي بفعله مبالغة ، أي كثير الوسوسة ، وهو أيضاً الخناس ، أي الذي من عادته أن يخنس أي يرجع ويتأخر إذا ذكر العبد ربه ، وإذا غفل رجع ووسوس وهو الذي دأبه الوسوسة في قلوب الناس ووسوسته هي الدعاء لطاعته ؛ والوسوسة الصوت الخفي وليست الوسوسة قاصرة على الجن وشياطينهم ؛ بل في الإنس شياطين

---

(رب الناس) مربيهم بنعمه . ( ملك الناس) مالكهم والمتصرف فيهم.

يوسوسون ويدعون إلى الباطل وطرق الشر ، ولذا قال تعالى : ( من الجنة والناس ) أي الذين يوسوسون : بعضهم من شياطين الجن يوسوسون في الصدور وبعضهم من شياطين الإنس يوسوسون علانية ، فأمر الله بالإستعاذة من الفريقين والالتجاء إليه من شرورهم .

وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

انتهى

والحمد لله أولاً وآخراً

# فهرس


| صفحة | | صفحة | |
|---|---|---|---|
| ٤ | تفسير سورة المزمل | ٩٤ | تفسير سورة الغاشية |
| ١١ | » » المدثر | ٩٨ | » » الفجر |
| ٢٠ | » » القيامة | ١٠٤ | » » البلد |
| ٢٧ | » » الإنسان | ١٠٨ | » » الشمس |
| ٣٥ | » » المرسلات | ١١١ | » » الليل |
| ٤٣ | » » عم — النبأ | ١١٤ | » » الضحى |
| ٥٠ | » » النازعات | ١١٧ | » » الإنشراح |
| ٥٨ | » » عبس | ١١٩ | » » التين |
| ٦٤ | » » التكوير | ١٢١ | » » العلق |
| ٦٩ | » » الانفطار | ١٢٥ | » » القدر |
| ٧٢ | » » المطففين | ١٢٧ | » » لم يكن |
| ٧٩ | » » الانشقاق | ١٣٠ | » » الزلزلة |
| ٨٣ | » » البروج | ١٣٢ | » » العاديات |
| ٨٨ | » » الطارق | ١٣٤ | » » القارعة |
| ٩١ | » » سبّح | ١٣٦ | » » التكاثر |

صفحة

١٣٨ تفسير سورة العصر
١٣٩ « « الهمزة
١٤١ « « الفيل
١٤٣ « « قريش
١٤٥ « « الماعون
١٤٧ « « الكوثر

صفحة

١٤٨ تفسير سورة «الكافرون»
١٤٩ « « النصر
١٥١ « « المسد
١٥٣ « « الإخلاص
١٥٤ « « الفلق
١٥٥ « « الناس



# تفسير سورة الكوثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

« إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ (٣) » .

بدأ هذه السورة سبحانه بأنه امتن على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بإعطائه الكوثر ، والأقوال في تفسير الكوثر كثيرة متعددة ، منها أنه حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة ، ومنها أنه القرآن والشفاعة ، ومنها أنه الخير الكثير على ما فسره بذلك ابن عباس ؛ وهو يجمع كل الأقوال . فقد أعطى الله رسوله خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة ، وكما امتن على رسوله بإعطائه الكوثر ، أمره بعبادته وحده دون سواه ، وإخلاص الدين له ، فالصلوات كلها فرضها ونفلها أمره بأن يجعلها خالصة لله . وذبح القرابين أمره أن يجعله خالصاً لله على عكس ما يصنعه المشركون من الذبح للأوثان وغيرها ، والخطاب معني به الأمة كلها . ثم أخبر سبحانه أن من لم يسر على طريقته من أمته في التوحيد وإخلاص الدين لله فذلك هو الأبتر ، أي الأذل الأقل المنقطع الذكر ، وقيل : إن الأبتر هو الذي لا ولد له وذلك أن العاص بن وائل كان يقول لقريش : دعو محمداً فإنه أبتر أي لا ولد له فإذا مات انقطع ذكره بموته . فأكذبه الله وقال لرسوله :(إن شانئك) أي مبغضك وعدوّك هو الأبتر اي المنقطع الذكر.

---

( الكوثر ) الخير الكثير . ( شانئك ) مبغضك . ( الأبتر ) المقطوع الأثر .

طبع على مطابع
دار لبنان
للطباعة والنشر
هاتف ٢٥٧٤١١ - ٢٩٤٢٠٤ - ٢٩٣٠٤٣
بيروت - لبنان - ص.ب ٥٦٢٠

٢٠٤٩ / ١٥٠٠٠ / ٧١